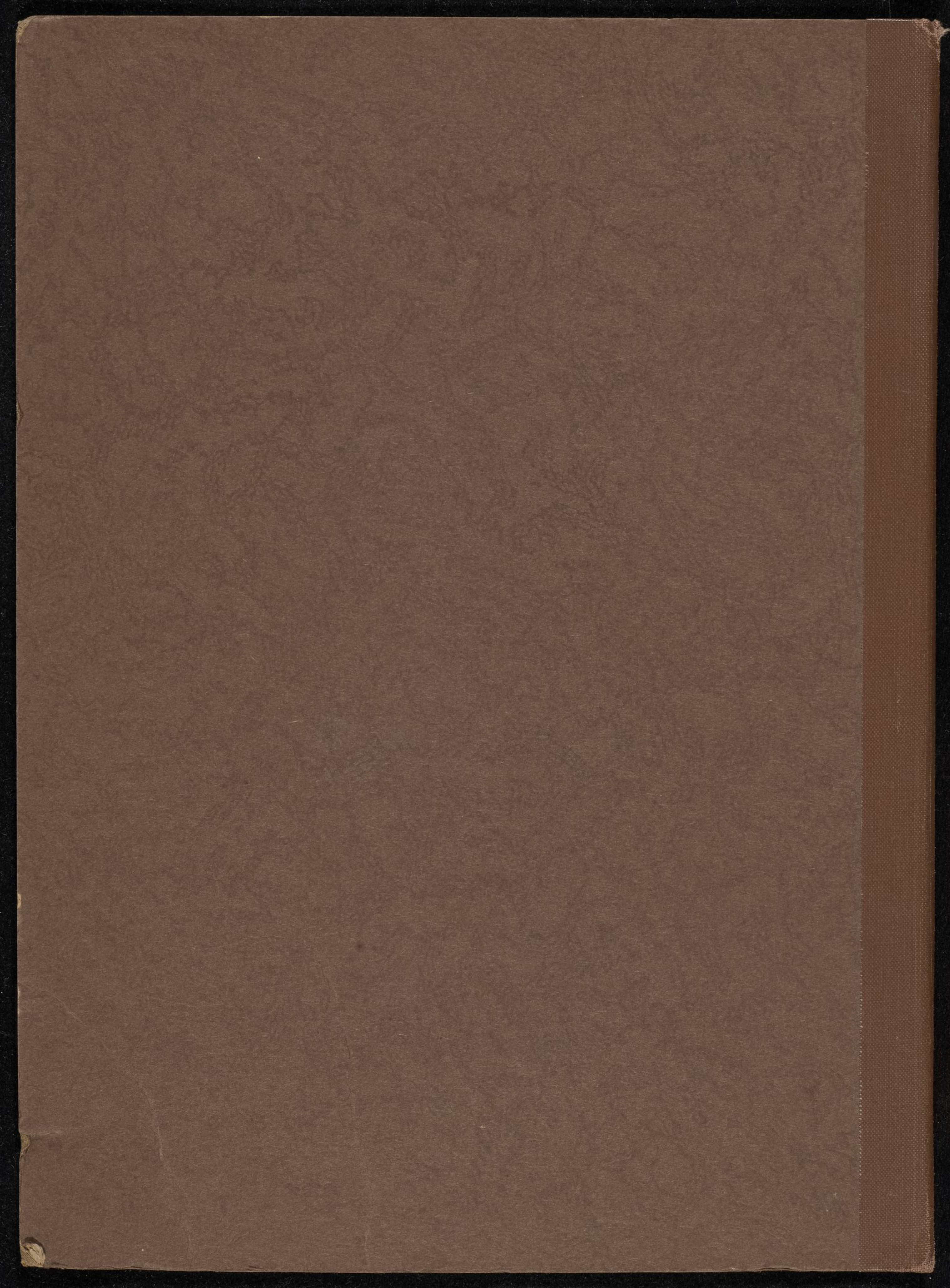
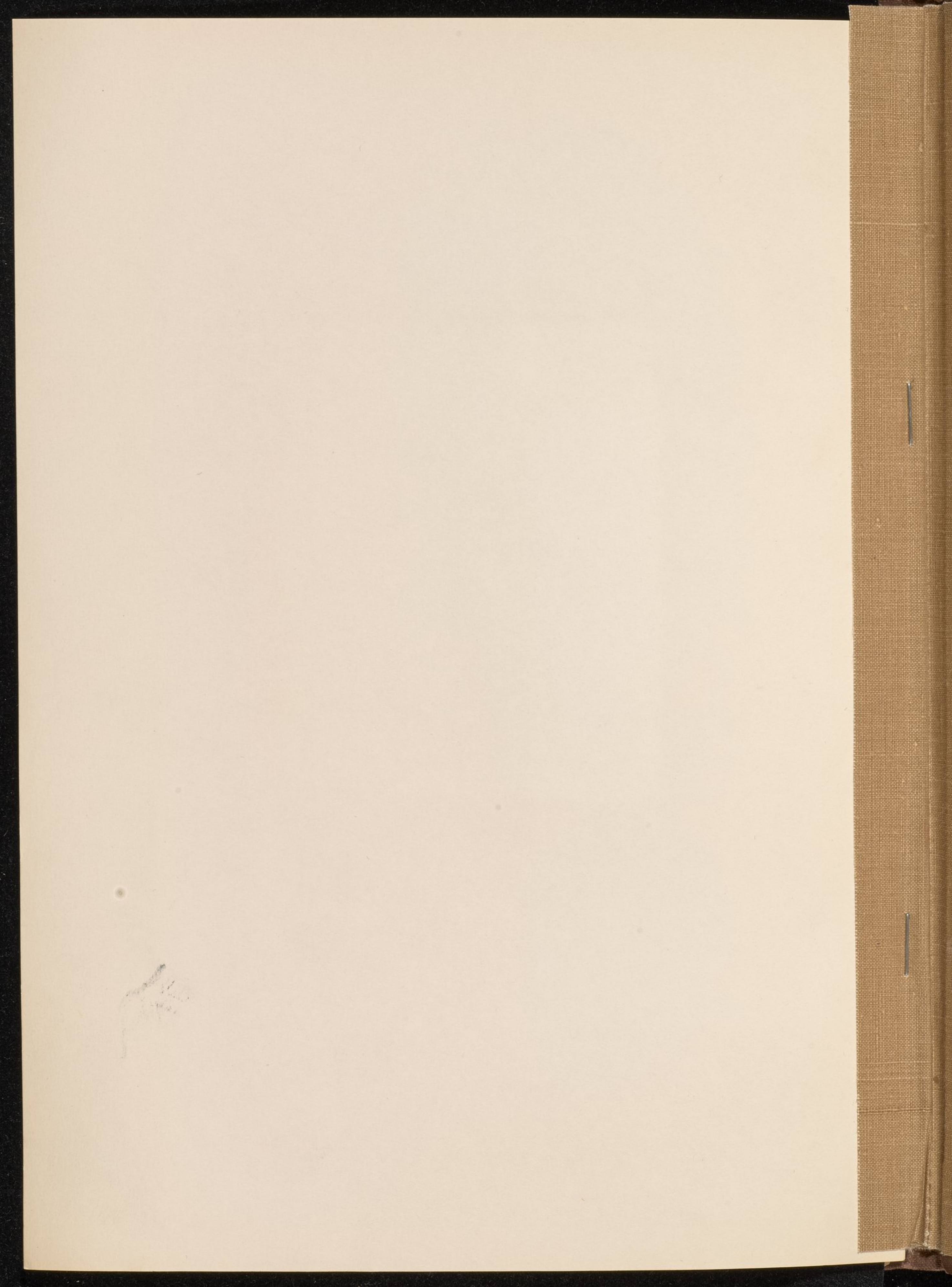
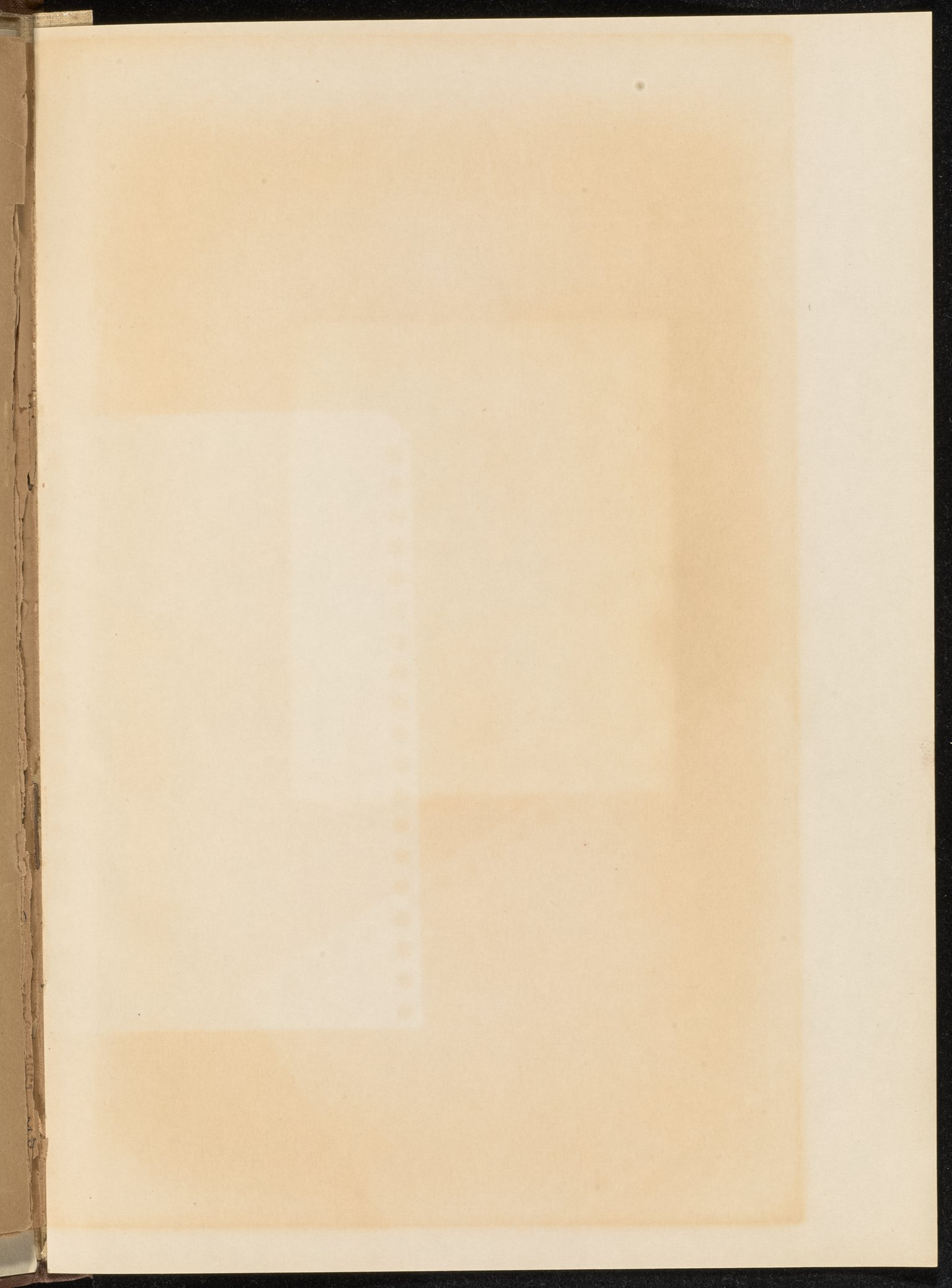



Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN





الرسائل النادرة

٦ - الحسن البصرى

آدابه ، حكمه ، نشأته ، حياته ، بلاغته ، زهده ، طريقته

تأليف

الحافظ ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى

مصدراً بمقدمة بليغة من قلم الأستاذ

حسن السندوبى

الطبعة الأولى على نفقة

مكتبة الخانجى

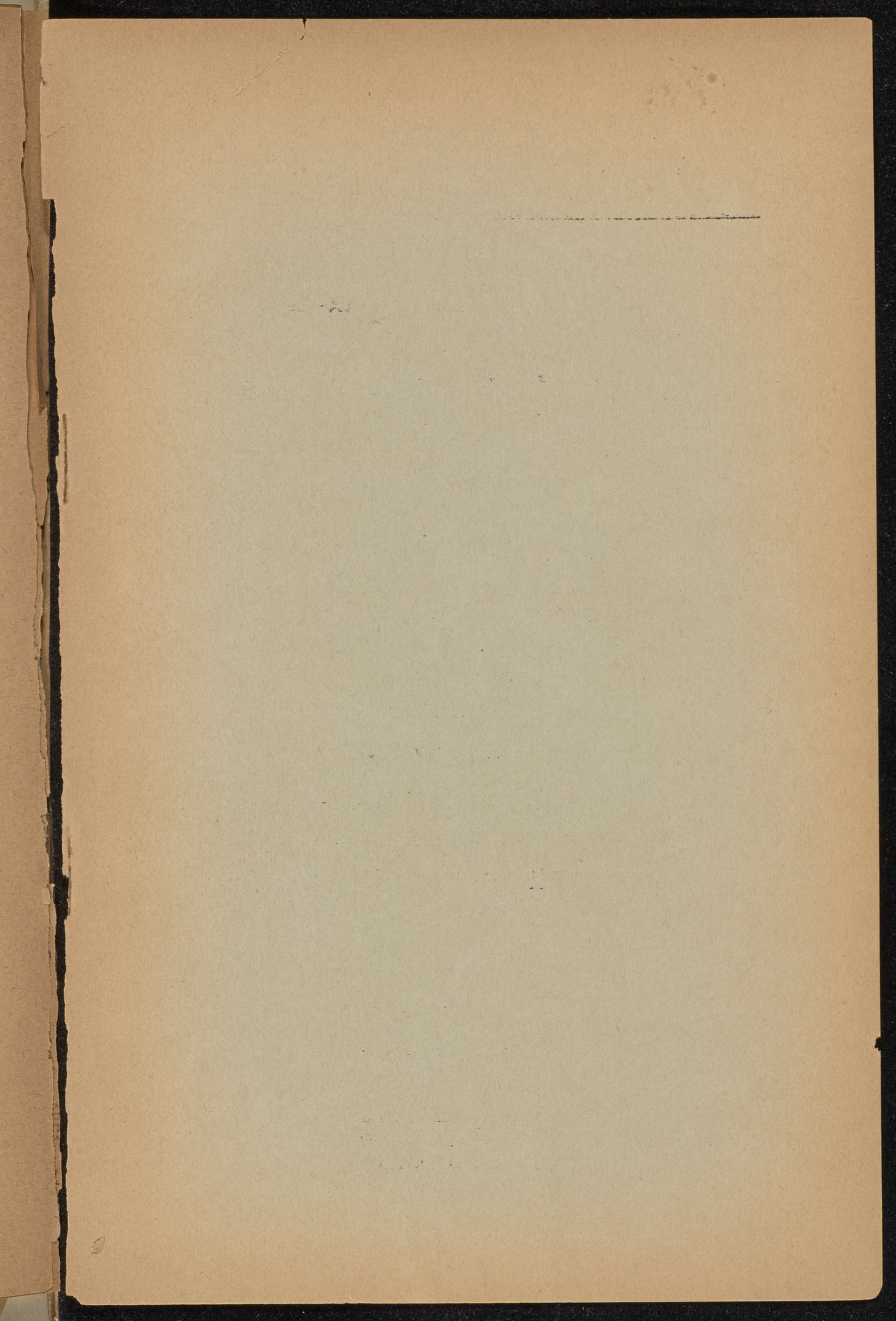
لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجى

بشارع عبد العزيز بمصر

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف



الرسائل النادرة

الحسن البصرى

آدابه ، حكمه ، نشأته ، حياته ، بلاغته ، زهده ، طريقته

تأليف

الحافظ ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى

مصدراً بمقدمة بليغة من قلم الأستاذ

حسن السندوبى

الطبعة الأولى على نفقة

مكتبة الخانجى

لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجى

بشارع عبد العزيز بمصر

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

الحسن البصرى

للكاتب المحقق البليغ

الأستاذ حسن السندوبى

هذا هو الرجل الذى نشأت فى مجلسه جميع الفكر التى ذهب الناس فيها إلى فرق ونحل وآراء ، ولا سيما فكرة الاعتزال ودرجت بين يديه وطار طائرها فى الخافقين ؛ وكان لرجالها فى التاريخ الاسلامى الأثر العظيم، وفى تحرير الفكر من قيود التقليد ما لا خفاء به ولا نكران له . هذا هو الرجل الذى تخرج به رؤوس المعتزلة وزعماؤهم، فهو شيخ الجماعة على الاطلاق ، هذا هو الرجل الذى لعب - كما يقولون - دوراً عظيما كان له أثره الفعال فى الدولة المروانية . هذا هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى . كان أبوه يسار من سبى ميسان — وهى بليدة أو صقع باسمها بالعراق — سباه الأمير المغيرة بن شعبة مع سيرين أبى محمد ابن سيرين حينما افتتحها فى عهد عمر بن الخطاب . ثم صار يسار هذا مولى لزيد ابن ثابت الأنصارى . وكانت أم الحسن ، وتسمى خيرة ، مولاة لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى بيتها ولد الحسن سنة ٢١ هـ ٦٤١ م ، وبعض الرواة يزعم أنه ولد على الرق ، ولم أر أحدا منهم قال أنه كاتب أو أعتق ، وفى غالب الظن أنه نشأ على الحرية لأن أحدا من الرواة لم يقل عنه أن فلانا تولاه أو أنه مولى فلان . قالوا إن أمه ربما غابت فى حاجة فيبكى فتضمه أم سلمة إليها وتلقمه ثديها تعلله به حتى تجىء أمه ، فزعموا أن ثديها در عليه فشرب به ، ثم تغالوا فى الزعم فرووا أن ما صار إليه من الحكمة والفصاحة اللتين عرف بهما كان من بركة ذلك ؟؟

ونشأ الحسن بوادى القرى وتلقى الفصاحة عن الأعراب ، وكان من أجمل

أهل البصرة ، تام الخلق ، حتى قالوا إن عرض زنده كان شبراً ، ثم كان أن سقط عن دابته فحدث بأنفه ما شوهه . ولم نستطع أن نتعرف شأن أبى الحسن يسار ، ولم نجد أحدا من الباحثين أو المؤرخين الذين قرأنا لهم ، تعرض للتعريف به وبما كان عليه فى بلده ميسان قبل الإسار ، غير أن الذى يتبادر إلى الذهن أنه كان ذا منزلة بين قومه ، ومكانة فى قبيله ، ولا يبعد أنه كان من رؤس المقاتلة ، وإلا لما وقع فى الأسر . فليس من شأن الغزاة والفاتحين التعرض بالاسار لمن لا خطر له ولاشأن ، ومن هنا يمكن القول بأنه كان على عرفان بلغة الفرس وآدابها ، ووقوف على سرائر الحكمة فيها . وإذا صح هذا ، وهو أقرب إلى الصحة والصواب ، بل لاأشك فى صحته وصوابه ، فهو بلا ريب لم يترك ولده دون تلقينه ما فى صدره من تلك المعارف والحكم ، وإلا لما ظهر نبوغ الحسن هذا الظهور الذى بذ به أقرانه وفاق فيه أخدانه

ولما أتم علومه ومعارفه وظهرت مخايل النجابة عليه عين كاتباً للربيع بن زياد الحارثى والى خراسان وأحد فاتحيها لعمر بن الخطاب ، وكان عمر يباهى بهذا الربيع عماله . ثم شاع فقه الحسن وفضله وتناقل الخلق ورعه ونبله ، فتقلب فى الأعمال والولايات مع انتياب مسجد البصرة يعقد فيه مجلسه ليفقه الناس ويذيع فيهم حكمته وموعظته ، ويبثهم معارفه وفلسفته ، وينشر بينهم دعوته السياسية فى تثبيت دعائم الدولة إلى أن اختاره عمر بن عبد العزيز لقضاء البصرة سنة ٩٩ هـ ٧١٧ م ، وقال عنه : لقد وليت قضاء البصرة سيد التابعين .

وحقاً لقد كان سيد التابعين ، وإمام أهل العلم والحكمة والرأى فى عصره ، وكان من الفصاحة والبلاغة فى أعلى مقام ، مع الزهد والورع والنسك والتقى ، حتى كانوا إذا ذكروا البصرة قالوا . شيخها الحسن ، وأنه سيد سمح ، وأنه أخطب الناس وأفصحهم ، وأن علانيته أشبه بسريرته ، وسريرته بعلانيته ، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره ، ناهيك من رجل استغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا إلى ما فى يديه من أمر دينهم . وكان خاصة أهل البصرة لا يعرفون رجلا يقول

بقوله فكيف يعمل بمثل عمله ؟ إلى آخر تلك الصفات التى ألبسه إياها شيوخ عصره .
وقد روى أبو حيان التوحيدى وصفاً له نسبه إلى ثابت بن قرة الحرانى الحكيم المشهور ، مع أنه لم يره ولم يعاصره قال :

كان الحسن بن أبى الحسن البصرى من درارى النجوم علماً وتقوى وزهداً وورعا وعفة ورقة ، وتألهاً وتنزهاً ، وفقها ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة ، مواعظه تصل إلى القلوب وألفاظه تلتبس بالعقول ، وما أعرف له ثانيا ، لا قريبا ولا مدانيا . كان منظره وفق مخبره ، وعلانيته فى وزن سريرته . عاش تسعين سنة لم يقرِف بمقالة شنعاء ولم يُزَنَّ بريبة ولا فحشاء ، سليم الدين ، نقى الأديم ، محروس الحريم ، يجمع مجلسه ضروبا من الناس ، وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيض عليهم بافتنانه ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام وهذا يتبع فى كلامه ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا يحكى له الفُتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة ، وهو فى جميع هذا كالبحر العجاج تدفقا ، وكالسراج الوهاج تألقا ، ولا تنس مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء ، بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ، والوجه الصلب ، واللسان العضب ، كالحجاج وفلان وفلان ، مع شارة الدين ، و بهجة العلم ، ورحمة التقى ، لا تثنيه لائمة فى الله ، ولا تذهله رائعة عن الله . يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير ، وعمرو وواصل صاحبا الكلام ، وابن أبى إسحٰق صاحب النحو ، وفرقد السبخى صاحب الرقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم ، فمن ذا مثله ، ومن ذا يجرى مجراه ؟ ..

وعندى أن هذه الصفات منتزعة من أقوال بعض معاصريه فيه ، ولست أخلى أبا حيان من صوغها وحملها على ثابت ليكون لها شأنها لنسبتها الى صابئى لا يعنى كثيرا بهذه الناحية من رجال الاسلام .

ولم يمنع الحسن زهده وورعه ونسكه وتقاه أن يخوض غمار السياسة ، وأن يكون

له فيها سهم صائب ، ولسان عاضب ، وأن يكون من دعاة الدولة والذائدين عن كيانها ، الموطدين لدعائمها وأركانها ، بما أوتى من فصاحة و بيان ، وقوة لسن وافتنان .

ومن أساليبه فى هذا السبيل أنه كان ينكر على علىّ الحكومة « أعنى التحكيم » ويقول : لم يزل أمير المؤمنين عليه السلام مظفراً مؤيداً بالنعم حتى حكّم . ولم تحكم والحق معك ؟ ألا تمضى قدُمُاً لا أبالك ؟؟ و إذا ذكر عثمان ترحم عليه ولعن قاتليه ، مع أن قوله فى على هو بعينه ما كان يراه قدماء الخوارج الذين فارقوه بعد التحكيم ، ولكنه يتفق مع سياسة الدولة الأموية . ولما عرفت عنه هذه المقالة وذاع رأيه فيها سأله رجل فقال : بلغنا أنك تقول : لو كان على بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له مما صنع ! فلم يجد له من جواب إلا أن يقول له : يالكع أما والله لقد فقدتموه سهما من مرامى الله ، غير سؤوم لأمر الله ، ولاسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله فأحل حلاله وحرم حرامه ، حتى أورده ذلك رياضا مؤنقة ، وحدائق مغدقة ، ذاك ابن أبى طالب يالكع .

وليس هذا بجواب لذلك السؤال ، على أنه ما كان يعجزه قول يرد به غرب خصمه أيا كان ، ولكنه بهت لهذا السؤال فراغ فى الجواب . وقد رووا أنه كان إذا حدث عن علىّ فى زمن بنى أمية قال : قال أبو زينب . وقال أبان بن عياش : قلت يا أبا سعيد ، ماهذا الذى يقال عنك انك قلته فى على ؟ فقال : يا ابن أخى ، أحقن دمى من هؤلاء الجبابرة ، لولا ذلك لسالت بى أعْشُبٌ ، ولا شك أن هذا من استعمال التقية الواجبة لمثله فى مثل عهده ليؤدى للدولة حقها فى الدعوة السياسية ويحيط نفسه باجلال الجمهور واحترامه وقيام العذر له لدى الخاصة منهم . ومن هنا كان من جلالة القدر مع ماهو موصوف به من بارع الحكمة و بالغ الموعظة بحيث كان مهيب الجانب وافر الحرمة لدى أنصاره ومناوئيه . ومهما أغفل التاريخ من التحدث عن مذهبه السياسى فان مما لاشك فيه أن الدولة المروانية مدينة له بقوة حكمته و بليغ بيانه ، كما هى مدينة للحجاج بقوة سياسته وشدة جَنانه . وأنت

عليم بأثر الدعاية السياسية فى بسط نفوذ الدولة وقيام سلطانها فى الأقطار وانبعاث هيبتها فى الصدور . ولما كانت الدولة المروانية قد نشأت فى عصر لايزال الدين فيه غضا كان لابد للقائم بالدعوة لها من الالتجاء إلى الدين للاستعانة ببعض ما يتصل به من الفكر والآراء والأقيسة يشد بها جوانب دعوته السياسية . وقد كان ذلك المزيج من السياسة والدين مذهب الحسن فيما هو بسبيله من هذه الناحية من حياته السياسية . وهاهى دول العصر الحاضر لا يزال من أهم أسلحتها الدعاية بسائر ضروبها، وليس ما قام به اللورد نورثكليف ابان الحرب العظمى من (البروباجندة) الهائلة لدول الحلفاء ، ولا سيما بريطانيا العظمى ،ضد خصومها حتى كان النصر حليفها مما يمكن تناسيه أو ينكر أثره

فلولا لسان الحسن وسيف الحجاج لوئدت الدولة المروانية فى مهدها ، وأخذت من وكرها . ألم تر الى الحسن وقد جلس فى مجلسه وبين يديه صنوف من الناس وضروب من الخلق على اختلاف الملل وافتراق النحل ، وفيهم حتى اليهود والنصارى يصغى كل منهم الى أقواله ، وهو يخرج بهم فى أساليب الكلام من باب ويدخل معهم فى باب ، ثم يقول لهم فيما يحدثهم به : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا الولاة فانهم ان أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر ، وان أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر ، وانما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء ، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب ، واستقبلوها بالاستكانة والتضرع

وفى أزمة مالية حدثت واشتد كرب الناس لها وذهبوا يستفتونه فى حلها فقال لهم : غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس : يا رسول الله ألا تسعر لنا ؟ فقال : ان الله هو المسعر ، ان الله هو القابض ، ان الله هو الباسط وانى والله ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه . بهذا وأمثاله كان يزرع هيبة الملوك والولاة فى صدور الناس ، وبهذا وأمثاله كان يبعث الرضا فى النفوس غير مصانع ولا مخادع ، ولكنه الصدق واليقين والثقة بما يحدث ويقول . ولم يكن يهاب أحدا

فى قول الحق مهما عـلا قدره وعزت شوكته ، على أنهم رووا أنه تناول الحجاج فى بعض مجالسه فلما نقل الى الحجاج قوله فيه غضب منه وأراد التنكيل به فتوارى عنه زمناً الى أن مات الحجاج ، وأنا أشك فى صدق هذه الرواية فقد كان الحجاج يجله ويفخر به ، وكان عبد الملك يعرف له بلاءه وقيامه بحقوق الدولة والملة خير قيام فما كان ليتركه فريسة فى يد الحجاج على أى وجه من الوجوه .

ولما ولى يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق وخراسان سنة ١٠٣ هـ ٧٢١ م استدعى ابن هبيرة اليه الحسن ومحمد بن سيرين وعامر الشعبى فلما حضروا اليه قال لهم : ان يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة له ، وقد ولانى ما ترون ، فيكتب إلىّ بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر ، فما ترون ؟؟ فاستكان ابن سيرين والشعبى تقية ، ولم يجرؤ واحد منهما على معارضته . فقال ابن هبيرة : ما تقول ياحسن ؟ فقال الحسن : يا ابن هبيرة ، خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ، إن الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله ، وأوشك أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، ثم لاينجيك الاعملك ، يا ابن هبيرة ، إن تعص الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدينه وعباده ، فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . فأكبر ابن هبيرة هذا منه ، وأجازهم وأضعف جائزته ، فقال الشعبى لابن سيرين : سفسفنا له فسفسف لنا . وهذا يدل على ما كان له فى الدولة من مكانة ، وفى النفوس من جلالة .

وكان الحسن كثيراً ماينشد فى مجالس وعظه ، وحلقات قصصه ، هذا البيت :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ   إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

وأرى الناس يرددون هذا البيت وقلما عرف أحد منهم قائله أو روى شيئاً من مقدماته ولواحقه ، من أجل هذا رأيت أن أعزوه الى قائله وأن أورد أبيات المقطوعة التى هو منها بتمامها على ما رواه الأصمعى قال :

قال عدى بن رعلاء الغسانى :

رُبَّمَا ضربَةٍ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ ، دُونَ بُصْرَى وَطَعْنةٍ نَجْلَاءِ

وغَمُوسٍ تضِلُّ فيها يدُ الآ سِى وَيَعْيا طَبِيبُهَا بالدَّوَاءِ

رَفَعُوا رَايَةَ الضِّرَابِ وآلوا لِيَذُودُنَّ سَامِرَ المَلْحَاءِ

فصبرْنَا النفُوسَ لِلطَّعْنِ حَتى جرتِ الخيلُ بيننا فى الدِّمَاءِ

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِميْتٍ إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأَحْيَاءِ

إنَّمَا المَيْتُ مَنْ يَعيشُ ذَلِيلاً سَيئًا بالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ

ومات رجل نصرانى كان من المترددين على مجلسه لسماع أقواله . فذهب الحسن الى أخيه ليعزيه فقال له : « أثابك الله على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من أهل دينك ، وبارك لنا فى الموت وجعله خير غائب ننتظره ، عليك بالصبر فيما نزل بك من المصائب » وهذا من عالى آداب الدين وسامى مكارم الأخلاق وخالص الود وصادق الوفاء والعطف

ولا يقعن فى وهمك أن الحسن كان متزمتا فى دينه ، جامداً عن الترخص فيما فيه ندحة ، مع زهده ونسكه وتقواه ؟ بل كان ميالا الى الترخص فيما لا يمس أصل الدين ولا يذهب برواء المروءة . فقد كان يحب السماع ويميل الى الغناء . قال ابن عون: أدركت ثلاثة يتشددون فى السماع ؛ وثلاثة يتساهلون فى الغناء ، فأما الذين يتساهلون فالحسن والشعبى والنخعى ، وأما الذين يتشددون فمحمد بن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة . وقال سلام بن مسكين : ما رأيت الحسن إلا وفى رجليه النعل ، وكان يصلى وهما فى رجليه ، وكان يقول : ما أعجب قوما يرون أن رسول الله صلى فى نعليه ثم لا نرى أحدا منهم يصلى منتعلا ؟ وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذق فقال : لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ؟ ما عاب هـذا مسلم . أما رأيه فى الشراب فهو الغاية فى الحكمة والسداد ، فقد كان يقول : لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء الى أحب خلق الله الى الله فأفسده – يعنى العقل – لكان للعاقل أن يتركه .

وفى مجلسه نشأت فكرة « الاسم والحكم » التى كانت أساس المذهب الاعتزال ، وهى ما تسمى « بالمنزلة بين المنزلتين » . وقد أبان رأيه فى هذه المسألة بهذه العبارة . الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف ، وقوّمه ذكر العرض ، وأما الكافر فقد قمعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وسمح بالضريبة وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة ، ويلك ؟ قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته ؟

يريد بالعبارة الأخيرة الرد على الخوارج الذين كانوا يستعرضون الناس بالسيف أيا كانوا ثم يرون أنهم بهذا ينصرون دين الله ويرجون رحمته ، ويبغون ثوابه ، ويأملون جنته . ومن أجل هذا التقسيم وتمسكه على الخصوص بتسمية مرتكب الكبيرة بالنفاق فارقه واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد لتمسكهما بالتسمية بالفسق دون النفاق كما هو مفصَّل فى كتابنا أدب الجاحظ

أما مذهبه الاعتقادى فيظهر أنه كان يرى رأى القدرية وأصحاب العدل كأكثر زعماء المعتزلة وأكابرهم ، وقد قال الشهرستانى : رأيت رسالة نسبت الى الحسن البصرى كتبها الى عبد الملك بن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر فأجابه بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بآيات من الكتاب ودلائل من العقل . قال : ولعلها لواصل بن عطاء فما كان الحسن ممن يخالف السلف فى أن القدر خيره وشره من الله تعالى ، وأن هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم . آه

قلت : أما حمل الشهرستانى هذه الرسالة التى رآها بعينه على واصل فمما لا يسلم به أحد من أهل التحقيق ، والعجب لمثل هذا الرجل الفاضل أن يعثر هذه العثرة التى لا لعاً لها ، وكيف غاب عنه أن واصلا وهو المولود سنة ٨٠ يستحيل عليه أن يكتب رسالة أيا كان موضوعها الى عبد الملك المتوفى سنة ٨٦ ؟ ؟ ولم لا تكون الرسالة للحسن وقد كان رؤوس القدرية والعدلية تلاميذه ؟

ولعل من حسن الاعتذار للشهرستانى عن هذه العثرة أن يقال أنه كان ينظر الى القول بالقدر بعين أهل زمانه الذى كان للحشوية فيه سلطان واسع النفوذ على العقول والأفكار حتى أفسدوا العقائد وتقولوا على الماضين ما لا علم لهم به . وقال أبو الجعد : سمعت الحسن يقول : من زعم أن المعاصى من الله جاء يوم القيامة مسودا وجهه ، كما فى قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال داود بن أبى هند : سمعت الحسن يقول : كل شىء بقضاء الله وقدره إلا المعاصى. وهذا هو بعينه رأى المعتزلة في القدر والعدل . وقد رد الشريف المرتضى القول بالعدل الى الامام على "وعده" رأس القائلين به

ولو ذهبت أضع الحسن فى مكانه اللائق به بين أهل عصره لوضعته على رأس التابعين بلا استثناء فلقد كان أرد على الاسلام ، وأنفع للدولة والملة من جيش لهام .

وكانت وفاته بالبصرة سنة ١١٠ هـ ٧٢٨ م وتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا بشأنه حتى لم تقم صلاة العصر بالجامع فى ذلك اليوم ، وكانت هذه أول مرة وقع فيها هذا الحادث منذ كان الاسلام الى يومذاك ، وكان ذلك فى زمن هشام ابن عبد الملك

وهناك مسألة يجب الالتفات إليها ، لأن أكثر الباحثين فى كتب الأدب العربية وأسفار التاريخ القديمة قلما يسلمون من الوقوع فى حبائلها ، سواء منهم أدباء العربية وأدباء الأفرنج الذين يعنون بلغة العرب ، وذلك أن جمهرة المؤلفين والرواة والمحدثين من القدماء عندما يروون شيئا من كلام الحسن البصرى يقولون : قال الحسن . مجردا من التعريف ، فيلتبس الأمر على القارىء فيتوهم أن المقصود به الحسن بن على بن أبى طالب أو غيره ، رأيت ذلك فى كثير من الكتب الحديثة وفى الكتب التى يقوم المستشرقون بطبعها وتنسيق فهارسها ، ويكون ذلك سببا فى الوقوع فى الخطأ الفاحش ونسبة الكلام الى غير قائله . فمهما رأيت فى أى كتاب قديم من كتب الأدب أو التاريخ أو الحديث أو الحكم أو المواعظ أو ما شابهها

قوله قال : الحسن . فلا يداخلك شك فى أنه الحسن البصرى دون غيره . كن من ذلك على بينة لتسلم من اللبس والخطأ .

أما مأخذ كلام الحسن البصرى فى حكمه ومواعظه وترغيبه وترهيبه فأكثره من معانى القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ومن كلام الامام على كرم الله وجهه

وكان الرأى أن نورد ههنا طائفة صالحة من كلام الحسن ولكن حال دون ذلك ضيق المقام واذا فاتك هذا الآن فلن يفوتك أنك ستقرأ له فصولا جيدة وأقوالا محكمة فى كتابنا الذى وضعناه عن « شيوخ المعتزلة ومذاهبهم » والذى سيكون بين يديك مطبوعا قريبا ان شاء الله ؟

حسن السندوبى



بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه توكلت

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه. ومستخلصِه لنفسهِ ومستوجبهِ على خلقهِ . الأول بلا ابتداء . والآخر بلا انتهاء . الذى ليس كمثله شىء وهو السميعُ البصير ، وأشهد أن لا اله إلا هو وحده لا شريك له . وان محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وقفتُ أدام الله عزك وتأييدك . وتوفيقك وتسديدك . على ما التمستَهُ ورَغِبْتَ فيهِ . وحرصتَ عليه . من جمع ما هو مفترق فى الكتب . من آداب الحسَن بن أبى الحسن البصرى . رحمة الله عليه . وزهاده . ومواعظهِ . فأجبتكَ إلى ذلك . وجمعتُ ما تيسر لى جمعَهُ . وأثبتُ ما انتهتْ القدرة اليه . حرصاً على بلوغ مرادك . وقضاءً لواجب حقك . وبالله أستعين . وهو حسبى ونعم الوكيل . وقد رسمتُ ما جمعته على فصولٍ ثمانيةٍ .

الفصل الأول : فى ذكر منشئِهِ وصفة أحواله وأفعاله .

الفصل الثانى : فيما روى عنه من الآداب ومكارم الأخلاق .

الفصل الثالث : فيما أورده من الحكم والمواعظ مختصراً على جهة البلاغة والايجاز

الفصل الرابع : فيما روى عنه من ذم الدنيا ونهيه عن التعلق بها .

الفصل الخامس : فيما روى عنه عند تلاوة القرآن من الحِكَمِ والمواعظ .

الفصل السادس : فيما أورده على جهة الاستغفار والدعاء والنهى عن التصنع والرياء .

الفصل السابع : فى مكاتباته للخلفاءِ ومقاماته مع الأمراء .

الفصل الثامن : فيما رُوِىَ عنه من المواعظ والحكم فى سائر الأشياء .

الفصل الأول

فى ذكر منشئه وصفة أحواله وأفعاله

هو الحسن بن أبى الحسن البصرى . كان أبوه مَوْلىً لرجل من الأنصار . وكانت أمه مولاةً لأم سَلَمَةَ ؛ زوج النبى صلى الله عليه وسلم . رُبِّىَ فى حَجْرِها وأرضعته بلبانِها . ودرّ عليه ثديها لرأفتها به ومحبتها له . فعادت عليه بركة النبوة فتكلم بالحكمة . وارتقى فى الصلاح والمعرفة إلى أفضل رتبة . وكان رحمه الله زاهد المتقين ، ومن أولياء الله الصدِّيقين . رُوِىَ فى الخبر أن عائشة رضى الله عنها سمعت الحسن يتكلم . فقالت : من هذا يتكلم بكلام الصدقين ؟. وقيل لعلىٍّ بن الحسن . رضى الله عنهما : إن الحسن يقول ليس العجب لمن هلك كيف هلك ، وإنما العجب لمن نجا كيف نجا . فقال على : سبحان الله هذا كلام صدِّيق . ورىَ عن الأعمش أنه كان يقول : مازال الحسن يعتنى بالحكمة حتى نطق بها ، وسمعه آخر وهو يعظ فقال : لله دره ، إنه لفصيح إذا لفظ ، نصيح إذا وعظ . وكان الحسن دائم الحزن كثير البكاء ، مطالباً نفسه بالحقائق ، بعيداً من التصنع ، لا يُظْهِرُ التقشُّف وإن كان باديا عليه ، ولا يَدَّع التجمل ، ولا يمتنع من لبس جيد الثياب ، ولا يتخلف عن مواكلة الناس ، ولا يتأخر عن إجابة الداعى الى الطعام ، وكان له سَمْتٌ يعرفه به من لم يكن رآه . رُوِىَ أن رجلا دخل البصرة ولم يكن رأى الحسن فسأل عنه الشَّعبى فقال : ادخل المسجد عافاك الله فإذا رأيت رجلا لم تر مثله قط رجلا فذلك هو الحسن . وقيل ورد أعرابى البصرة فقال : من سيِّد هذا المصر ؟ فقالوا : الحسن بن أبى الحسن . قال فبما ساد أهله ؟ قالوا : استغنى عما فى أيديهم من دنياهم واحتاجوا الى ما عنده من أمر دينهم . فقال الأعرابى : لله دره هكذا فليكن السيد حقاً . وقيل مر به راهبان فقال

أحدهما لصاحبه : مل بنا الى هذا الذى يشبه سمتهُ سَمْت المسيح لننظر ما عنده فلما قربا منه سمعاه يقول : ياعجباً لقوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل وحبس أولهم على آخرهم وهم ينتظرون الوُرود على ربهم؛ ثم هم بعد ذلك فى سكرة يعمهون. ثم بكى حتى بل لحيته . فقال الراهبان : حسبنا ما سمعنا من الرجل ثم انصرفا عنه . وكان أهل البصرة إذا قيل من أعلم أهلها ومن أورعهم ومن أزهدهم ومن أجملهم ؟ بدءوا به وثنوا بغيره . وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المُزنى. وقال عبد الواحد بن زيد : لو رأيت الحسن لقُلْتَ صب على هذا حزن الخلائق من طول تلك الدمعة ، وكثرة ذلك النشيج . وقيل له صف لنا الحسن فقال : رحم الله أبا سعيد كان والله إذا أقبل كأنه رجع من دفن حميمه،و إذا أدبر كأن النار فوق رأسه،و إذا جلس كأنه أسير قدّم لضرب عنقه،واذا أصبح كأنه جاء من الآخرة،و إذا أمسى كأنه مريض أضناه السُقْم. وقال يونس بن عبد الله: مارأيت الحسن قط ضاحكا بملء فيه . وقيل: جلس محمد بن واسع إلى ثابت بن محمد البُنَانى فرآه يضحك فى مجلسه ويمزح . فقال: عافاك الله إنك لتمزح فى مجلسك ولقد كنا نجلس إلى الحسن فكان إذا خرج إلينا كأنه جاء من الآخرة يحدثنا عن أهوالها . فقال ثابت:رحم الله الحسن كان من أهل الحق والجد وأنَّى لنا بطريقته ؛ وما نحن والحسن إلا كما قال الأول :

وابْنُ اللبونِ إذا ما لزَّ فى قَرَنٍ ... لم يستطع صولة البزل القَنَاعيب

وقيل اعتزل الحسن أياما فدخل عليه رجل فقال يا أباسعيد : أصحك الله لقد خفنا عليك الوحشة.فقال: يا ابن أخى لايستوحش مع الله سبحانه وتعالى إلا أحمق. قال حُميد خادم الحسن قال لى الشعبى يوما: أريد أن تعلمنى إذا خلا الحسن لأجتمع به خاليا ؛ فأعلمت بذلك الحسن.فقال: عرفه وليأت إذا شاء . فخلا الحسن يوما فأعلمت الشعبى فبادر وأتينا منزل الحسن فوجدناه مستقبل القبلة وهو يقول: ابن آدم لم تكن فكوّنت،وسألت فأُعطيتَ ،وسئلت فبخلت، بئس والله ويحك ماصنعت . فسلمنا

عليه ووقفنا ساعة فما التفت إلينا ولاشعر بنا . فقال الشعبى: الرجل والله فى غير ما نحن فيه؛ فانصرفنا ولم نجتمع به . قيل له يوماً : كيف أصبحت يا أباسعيد ؟ فقال والله ما من انكسرت به سفينة فى لجج البحر بأعظم منى مصيبة ، قيل ولم ذاك ؟ قال: لأنى من ذنوبى على يقين، ومن طاعتى وقبول عملى على وجل، لا أدرى أقبلت منى أم ضرب بها وجهى ؟ فقيل له : وأنت تقول ذلك يا أبا سعيد. فقال ولم لا أقول ذلك؟ وما الذى يؤمننى من أن يكون الله سبحانه وتعالى قد نظر الىّ وأنا على بعض هناتى نظرةً مقتنى بها فأغلق عنى باب التوبة،وحال بينى و بين المغفرة فأنا أعمل فى غير معتمل. وقال له آخر: كيف حالك يا أبا سعيد ؟ فقال : شرُّ حال، قال ولم ذاك ؟ قال لأنى امرؤ أنتظر الموت إذا أصبحت واذا أمسيت ، ثم لا أدرى على أى حالة أموت ؟

ودخل عليه رجل وهو يبكى ، فقال : ما يبكيك أصلحك الله ؟ فقال : أخاف والله أن يدخلنى مالكى النار ولا يبالى . وسأله رجل عن الطامة ماهى ؟ فقال : هى الساعة التى يدفع الناس فيها إلى عذاب جهنم و بئس المصير ؛ نعوذ بالله من النار ومن عمل يؤدى الى النار . وذكرت النار يوماً فى مجلسه فقال : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (يخرج غدا من النار رجل بعد أن يقيم بها أعواماً) ثم قال الحسن ليتنى كنت ذلك الرجل . وكان يقول : ما صدّق عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت ؛ ولا والله ما صدق عبد بالنار إلا ظهر ذلك فى لحمه ودمه .

قيل لأبى سليمان الدارى : إن الحسن كان يقول من أراد أن يخشع قلبه، ويغزر دمعه ، فليأكل فى نصف بطنه . فقال أبو سليمان : رحم الله أبا سعيد كان والله من القوم الذين مهدوا لأنفسهم وناقشوها الحساب قبل يوم الحساب ؛ وانى لأرجو أن يكون من الفائزين رحمه الله تعالى . وكان رجل من أهل المسجد الحرام يقول : ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وفيهم من يحدث عن الحسن بن أبى الحسن البصرى رحمه الله . وقيل له يوما : يا أبا سعيد أى شىء يدخل الحزن فى القلب ؟ فقال : الجوع . قال فأى شىء يخرجه ؟ قال : الشبع . وكان يقول : توبوا إلى الله

من كثرة النوم والطعام . وكان يقول : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : ما من عبدٍ جوّع نفسه الا لم يكن لأحدٍ ثوابٌ أفضلُ من ثوابه ذلك اليوم الا لمن جاء بمثل ما جاء به — يريد من صام لله سبحانه . وقال مالك بن دينار : دخلتُ يوماً على الحسن وهو يأكل فقال كل يا ابن أخى ! فقلتُ أكلتُ فقال وان فعلتَ فاسعدنى ! فقلتُ : والله لقد شبعتُ فقال الحسن يا سبحان الله ما كنت أخال أن مؤمناً يأكل حتى يشبع فلا يقدر أن يساعد أخاه . وقيل حضر الحسن وليمةً وحضرها رجل من المتقشفين فلما قدمت الحلواء رفع الرجل يده رياء وتصنعاً ، فأكل الحسنُ وقال كل يا لكع بيته ، فلنعمة الله عليك فى الماء البارد أعظم من نعمته عليك فى الحلواء .

وقيل ان الرجل كان اختزل من الطعام دجاجة. فقال الحسنُ : ردَّ ما هو عليك حرامٌ وكل ان شئت ما هو لك حلالٌ واحذر الرياء والتصنع فان الله يمقت فاعلهما.

وقيل رأى الحسن شيخاً فى جنازة فلما فرِغ من الدفن قال له الحسن: ياشيخ أسألك بربك أتظن أن هذا الميت يودُّ أن يرد الى الدنيا فيتزيدُ من عمله الصالح ويستغفرُ الله من ذنوبه السالفة. فقال الشيخ : اللهم نعم! فقال الحسن: فما بالنا لا نكون كلنا كهذا الميت . ثم انصرف وهو يقول أى موعظةٍ ؟ ما أنفعها لو كان بالقلوب حياة ؟ ولكن لا حياةَ لمن تنادى .

ولقيه رجل وهو يريد المسجد فى ليلة مظلمة ذات ردْعٍ . فقال : فى مثل هذه الليلة تخرج يا أبا سعيد . فقال : يا ابن أخى هو التشديدُ أو الهلكةُ . وكان رحمه الله صاحب ليل. وكان يقول: ما رأيت شيئا من العبادة أشد من الصلاة فى جوف الليل وانها لمن أفعال المتقين . وكان يقول: صلاة الليل فرضٌ على المسلمين ولو قدرُ حلب شاة أو فواق ناقةٍ . وكان يقول: اذا لم تقدر على قيام الليل ولا صيام النهار فاعلم أنك محرومٌ ؛ قد كبلتك الخطايا والذنوب . وكان يقول : منع البرُّ النوم ومن خاف الفوات أدلج .

وقال له رجل يا أبا سعيد : أعيانى قيام الليل فما أطيقه فقال: يا ابن أخى أستغفر الله وتب اليه فانها علامة سوء . وكان يقول : ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيامُ الليل . وقيل حاول الحسن الصلاة ليلةً فلم تطاوعه نفسه فجلس سائر الليلة لم ينم فيها حتى أصبح ، فقيل له فى ذلك فقال : غلبتنى نفسى على ترك الصلاة فغلبتها على ترك النوم،وايمُ الله لا أزالُ بها كذلك حتى تذل وتطاوع . وكان يقول: ان النفس أمارة بالسوء فان عصَتْكَ فى الطاعة فاعصها أنت عن المعصية .

وقيل لعبد الواحد صاحب الحسن: بأى شىء بلغ الحسن فيكم الى ما بلغ؟وكان فيكم علماء وفقهاء فقال ان شئت عرفتك بواحدةٍ أو باثنتين فقلت عرفنى بالاثنتين فقال كان اذا أمر بشىء أعمل الناس له،واذا نهي عن شىء أترك الناس له. قلتُ فما الواحدة ؟قال لم أر أحدا قط سريرته أشبه بعلانيته منه .

وقيل للحسن فى شىء قاله:ما سمعنا أحدا من الفقهاء يقول هذا فقال وهل رأيتم فقيها قط ! انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة الدائب على العبادة الذى لا يدارى ولا يمارى،ينشر حكمة الله ان قبلت منه يحمد الله وان ردت عليه حمد الله

وقيل خطب رجل اليه ابنته وبذل لها مائة ألف درهم. فقالت أمها : زوجه فقد أرغبها فى الصِداق، وبذل لها ما ترى.فقال الحسن : إن رجلا بذل فى صداق امرأة مائة ألف لجاهل مغرور يجب أن لا يرغب فى مناكحته ولا يحرص على مصاهرته. وترك تزويجه . وزوجها من رجل صالح .

وقيل شاوره رجل فقال: يا أبا سعيد لى ابنة أحبها وقد خطبها رجال من أهل الدنيا فمن ترى لى أزوجها ؟ فقال:زوجها من تقى فانه إن أحبها أكرمها ؛ و إن أبغضها لم يظلمها .

قيل ليوسف بن عبيد : هل تعرف رجلا يعمل بعمل الحسن ؟ فقال: رحم الله الحسن والله ما أعلم أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ، كان والله إذا ذكرت النار عنده كأنه لم يخلق إلا لها، وما رؤى قط إلا وكأن النار والجنة بين عينيه خشية ورجاء لا يغلب أحدهما صاحبه.

قال حميد خادم الحسن دخلنا على الحسن فى بعض علله نعوده. فقال: مرحبا وأهلا بكم حيا كم الله بالسلام وأدخلنا وايا كم دار المقام. فقلنا عظنا يرحمك الله! فانا نرجو الانتفاع لما نسمع منك فقال: هذه علامةٌ حسنةٌ ان صدقتم وصبرتم وأيقنتم معاشر اخوانى رحمكم الله، لا يكن حظكم من الخير سماعه بأذن وخروجه من أذن فانه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة بل رُفع له صلى الله عليه وسلم علم الهداية فشمر اليه. فهنيئاً لمن اتبع سنته واقتفى أثره. الوحا الوحا ثم النجاة النجاة علام تفرحون ولا تحزنون أوتيتم ورب الكعبة كأنكم والله والأمر قد جاء معا والسعيد من اعتدَّ له.

قال أبو عبد الرحمن: دخلنا على الحسن وهو عليل فأحضر كاتبا ليكتب وصيته ثم قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان الحسن عبد الله وابن أمته، يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، من لقى الله بها صادقاً لسانه، مخلصا قلبه، أدخله الله الجنة.

ثم قال: سمعت معاذاً يقول ذلك ويوصى به أهله. ثم قال معاذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ويوصى به أهله.

وقيل لما احتضر الحسن جزع جزعاً شديداً فقال له ولده: لقد أفزعتنا بجزعك هذا يا أبت، فقال: يابنى قد جاء الحق وزهق الباطل وهاأنا أصاب بنفسى التى لم أصب بمثلها.

قال مالك بن دينار: رأيت الحسن رحمة الله عليه فى منامى بعد أن مات مسرورا شديد البياض تبرق مجارى دموعه. فقلت: ألست من الموتى؟ فقال نعم! قلت فماذا صرت اليه بعد الموت. فلعمرى لقد طال حزنك فى الدنيا؟ فقال: رفع والله لنا ذلك الحزن علم الهداية إلى منازل الأبرار فحللنا بثوابه مساكن المتقين، وأيم الله إن ذلك الا من فضل الله علينا. قلت: فما تأمرني به يا أبا سعيد؟ فقال: وما حسبتنى ان

آمرك به لتعلم أن أطول الناس حزنا فى الدنيا أطولهم فرحا فى الآخرة . قال صالح المرى : دخلت على الحسن يوما فوجدته ينشد :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميْت ميّت الأحياء
إنما الميت من تراه كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

وكان إذا أصبح وفرغ من تسبيحه أنشد :

وما الدنيا بباقية لحى ولا حى على الدنيا بباقى

و إذا أمسى بكى وتمثل وقال :

يسر الفتى ما كان قدّم من تقى إذا عرف الداء الذى هو قاتله

قال حميد دخلنا على الحسن يوما فوجدناه يبكى و ينشد :

دعوه لا تلوموه دعوه فقد علم الذى لم تعلموه
رأى علم الهدى فسمىٰ إليه وطالب مطلبا لم تطلبوه
أجاب دعاءه لما دعاه وقام بأمره وأضعتموه
بنفسى ذاك من فطن لبيب تذوّق مطعما لم تطعموه

قال : وسمعته يوما يبكى و يقول : أى رب متى أؤدى شكر نعمتك التى لا تؤدى إلا بنعمة محدثة، ومعونة مجددة. وما أخسر صفقة من صرف عن بابك، وضرب دونه حجابك . ثم أنشد :

إذا أنا لم أشكرك جهدى وطاقتى ولم أصف من قلبى لك الود أجمعا
فلا سلمت نفسى من السقم ساعة ولا أبصرت عينى من الشمس مطلعا

ثم استغفر و بكى ، وقال : القلب الذى يحب الله يحب التعب ، ويؤثر النصب هيهات لاينال الجنة من يؤثر الراحة ؛ من أحب ماعند الله سخا بنفسه ان صدق ، وترك الامانى فانها سلاح النوكى . وقال له رجل يوما : ياأباسعيد مابال المجتهدين من أحسن الناس وجوها . فقال: خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره، فهو يبدو على

وجوههم . وقيل له : كيف ترى يا أبا سعيد فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . قال: ما أعرف هذا من أخلاق المؤمنين .

وذكر بحضرته رحمه الله الصحابة رضوان الله عليهم فقال: قدس الله أرواحهم شهدوا وغبنا ، وعلموا وجهلنا . فما أجمعوا عليه اتبعنا . وما اختلفوا فيه وقفنا . وكان يقول: كنس المساجد وعمارتها بالذكر نقود الحور العين ، وكان يقول : حقيق على من عرف أن الموت مورده ، والقيامة موعده، والوقوف بين يدى الجبار مشهده أن تطول فى الدنيا حسرته ، وفى العمل الصالح رغبته .

واتصل به أن رجلا اغتابه فبعث إليه بطبق فيه رطب . وقال : أهديتَ إلىّ باغتيابك لى حسناتك فكافأتك عليها . فاستحيا الرجل ولم يعد لذكره بسوء . وكان إذا رأى رجلا كثير البطالة غير مشتغل بما يعنيه من أمر دينه أنشد :

يسرك أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وكان يقول : يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه ، فانك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك . و إن أسأت إليه ارتحل بذمك . وكذلك ليلتك .

وولد له غلام فهناه جلساؤه . وقالوا : بارك الله لك فى هبته . وزادك من نعمته . فقال: الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة من كل نعمة ، ولا مرحباً بمن ان كنت عائلا انصبنى ، وان كنت غنياً أذهلنى ، ومن لا أرضى بسعيى له سعياً ، ولا بكدى له فى الحياة كدا ، حتى أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتى ، وأنا فى حال لا يصل إلى من همه حزن ، ولا من فرحه سرور .

وكان يقول : إنّ من خوّفك حتي تلقى الأمن خير ممن أمّنك حتى تلقى الخوف . وكان يقول: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أصبح شكا لا يقين فيه ، من يقيننا بالموت وعملنا لغيره ، وكان يقول : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مامن صدقة افضل من صدقة اللسان) قيل: يارسول الله وما صدقة اللسان ؟ قال: (الشفاعة الحسنة يحقن الله بها الدم ، ويقضى بها الحاجة ، ويفرج بها الكربة) .

الفصل الثانى

فيما أورده من الآداب ومكارم الأخلاق

روى عن الحسن رحمه الله أنه كان يقول: قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلى من اعتكاف شهر . وسأله رجل عن حسن الخلق ماهو ؟ فقال: البذل، والعفو، والاحتمال. وكان يقول : مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتماله مؤونة إخوانه ، و بذله المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن جيرانه .

وكان يقول : لوشاء الله عز وجل لجعلكم أغنياء لافقير فيكم ، ولو شاء لجعلكم فقراء لاغنى فيكم ، ولكن ابتلى بعضكم ببعض لينظر كيف تعملون . ثم دل عباده على مكارم الأخلاق . فقال سبحانه وتعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه . ومن يُوق شُح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وقال : عدة الكريم . فعلٌ وتعجيل ، وعدة اللئيم . تسويف وتطويل .
وكان يقول : ما انصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ماله .

وقال : كنا نعد البخيل فينا الذى يقرض أخاه الدراهم . إذ كنا نتعامل بالمشاركة والايثار . والله لقد كان أحد من رأيت وصحبت يشق إزاره فيؤثر أخاه بنصفه ويبقى له ما بقى ، ولقد كان الرجل ممن كان قبلكم يصوم فاذا كان عند فطره مر على بعض إخوانه فيقول إنى صمت هذا اليوم لله وأردت إن تقبله الله منى أن يكون لك فيه حظ فهلم شيئا من عشائك فيأتيه الآخر بما تيسر من ماء وتمر . فيفطر عنده . يبتغى أن يكسبه أجراً و إن كان غنيا عن الذى عنده .

وكان يقول : أدركت أقواما و إن الرجل منهم ليخلف أخاه فى أهله وولده أربعين سنة بعد موته . وكان يقول : ادركت اقواما كانوا يعزمون على أهليهم أن لا يحرموا سائلا ، ولا يردوه خائبا . وكان يقول : اذا دخل الرجل بيت صديقه فلا بأس عليه أن يتناول مما حضر من طعامه وفاكهته بغير إذنه . وكان يقول : ما من

نفقة الا والعبد يحاسب عليها حتى نفقته على والديه فمن دونهما ؛ إلا نفقته على أخيه في الله وصاحبه في طاعة الله . فانه روى أن الله سبحانه وتعالى يستحى أن يحاسبه عليها . وكان يقول: ليس من المروءة ان يربح الرجل على أخيه. وكان يقول: احذر من نقل اليك حديث غيرك ، فانه سينقل الى غيرك حديثك. وكان يقول: ابن آدم عملك عملك انظر على أى حال تحب أن تلقى عليها ربك؟ وكان يقول: إن لأهل الخير علامة يعرفون بها صدق الحديث ، وأداء الامانة ، والوفاء بالعهد ، وقلة الفخر والخيلاء ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، وبث العلم، وقلة مثافنة[1] النساء . وكان يقول: ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارض بما قسم الله تكن غنيا ، وأحسن جوار من جاورك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن عدلا ، وأقلل الضحك فانه يميت القلب . كما يموت البدن .

وكان يقول : أيها الناس انكم لا تنالون ماتحبون الا بترك ما تشتهون ، ولا تدركون ما تأملون ، الا بالصبر على ماتكرهون . وكان يقول : الصبر كنز من كنوز الجنة ، وانما يدرك الانسان الخير كله بصبر ساعة . وكان يقول : من أعطى درجة الرضى كفى المؤن ، ومن كفى المؤن صبر على المحن. وقيل تساب رجلان بحضرة الحسن ، فقام المسبوب وهو يمسح العرق عن وجهه ، ويتلو : (ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الامور) ، فقال الحسن: لله دره عقلها والله حين ضيعها الجاهلون . وقال: ابن آدم لتصبرن أولتهلكنّ .وقال لقد روى : ان رجلا شتم أبا ذر رحمه الله. فقال: ان بيني وبين الجنة عقبة إن جزتها فأنا خير مما تقول، وأن عرج بي دونها الى النار فانا شر مما قلت . فانته أيها الرجل فانك تصير الى من يعلم خائنة الأعين،وما تخفى الصدور. وقيل شتم رجل رجلا . فقال:لولا ان الله يسمع لأجبتك. وكان يقول : الصبر صبران ، صبر عند المصيبة ، وصبر عن المعصية ، فمن قدر على

---

(١) مثافنة النساء : مجالستهن

ذلك فقد نال أفضل الصبرين. وكان يقول: ماجرعة أحب إلى الله عز وجل، من جرعة مصيبة موجعة تجرعها صاحبها بحسن عزاء وصبر، أو جرعة غيظ تحملها بفضل عفو وحلم.

وكان يقول: ابن آدم انك لن تجمع ايمانا وخيانة، كيف تكون مؤمنا ولا يأمنك جارك؟ أو تكون مسلما ولا يسلم الناس منك، أليس قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم. انه قال: (لا ايمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له). وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه). ثم يقول الحسن رحمه الله: ابن آدم انك لا تستحق حقيقة الايمان، حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، فاصلح عيب نفسك قبل نظرك فى عيوب الناس، فانك لن تصلح من نفسك عيبا، الا وجدت عيبا آخر انت أولى باصلاحه، ابن آدم إن تكن عدلا فاجعل لك عن عيوب الناس شغلا، فان أحب العباد الى الله من كان كذلك. وقيل انشده رجل يوما:

واجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوى العيوب

فقال لله در هذا القائل؟ انه لكما قال. وكان يقول: ابن آدم ما أوهنك وأكثر غفلتك، تعيب الناس بالذنوب، وتنساها من نفسك، وتبصر القذى فى عين أخيك، وتعمى عن الجِذع معترضا فى عينك، ماأقل انصافك، وأكثر حيفك.

وكان يقول: روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال «أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة». وذلك ان الله عز وجل غفر لهم ذنوبهم، بما أسدوه من المعروف الى خلقه فى دار الدنيا، ثم يقال لهم يوم القيامة: هبوا حسناتكم لمن شئتم فقد غفرت لكم سيئاتكم، فيهبون حسناتهم فيكونون اهل معروف فى الآخرة كما كانوا فى الدنيا. وسئل أى الاخلاق أفضل؟ فقال: الجود والصدق.

وكان يقول أفضل الجهاد جهاد الهوى. وكان يقول: أدركت قوما ما كان أحدهم بديناره ولا بدرهمه احق به من أخيه المسلم، فما بالكم معشر الناس تبخلون على ما به تؤاخذون، وعليه تحاسبون. وسمع رجلا يحاسب آخر، ويقول: بقى لى عليك دانق. فقال: لا تدنقوا فيدنق الله عليكم، لعن الله الدانق، ومن دنق الدانق. وكان يقول:

انه لا دين لمن لا مروءة له. وكان يقول: من حبس الطعام أربعين يوما يطلب غلاءه، ثم لو طحنه وخبزه وأطعمه المساكين، لم ينج من اثمه، ولا يسلم من ذنبه. وكان يقول: ليس حسن الجوار كف الأذى، وانما حسن الجوار احتمال الاذى.

وكان يقول: أربع من كنّ فيه عصمه الله عز وجل من الشيطان وعافاه من النار. من ملك نفسه عند الرهبة والرغبة والحدة والشهوة. وكان يقول: العلم خير تراث، والادب أزين خدين، والتقوى خير زاد، والعبادة أربح بضاعة، والعقل خير وافد، وحسن الخُلُق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنى، والتوفيق خير معين، وذكر الموت أوعظ واعظ. وكان يقول: لا تكن ممن يجمع علم العلماء، وحكم الحكماء، ويجرى فى الحق مجري السفهاء. وكان يقول: أربع من كنّ فيه أدخله الله الجنة، ونشر عليه الرحمة، من برّ والديه، ورفق بمملوكه، وكفل اليتيم، وأعان الضعيف. وكان يقول: روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العلم علمان، علم فى القلب، فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم.

وكان يقول: ان الحسد فى دين المسلم اسرع من الآكلة فى جسده. وكان يقول: المؤمن الفطن الكيس، كما زاده الله احسانا ازداد من الله خوفا. وكان يقول: المؤمن أحسن الناس عملا، وأشدهم من الله خوفا، لو انفق فى سبيل الله مثل أحد ذهبا، ما آمن حتى يعاين. ويقول: أبدا لا أنجو لا أنجو، والمنافق يقول سواد الناس كثير، وما عسى ذنبى فى جملة الذنوب، ان الله رحيم وسيغفر لى ثم يقول الحسن: ابن آدم تعمل بالسيئات، وتتمنى على الله الامانى. وكان يقول: من ساء خُلقه عذّب نفسه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن كثر كلامه، كثر سقطه. وكان يقول: لولا العلم كان الناس كالبهائم.

وروى عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول: ان مما يصفى لك ود أخيك ان تبدأه بالسلام إذا لقيته، وان تدعوه بأحب الاسماء اليه، وان

توسع له فى المجلس ، ثم يقول الحسن : لقد علمكم السلف الصالح الأدب ومكارم الاخلاق ، فتعلموا رحمكم الله . وكان يقول : ما بالنا يلقى أحدنا أخاه فيخفى السؤال عنه ، ويدعو له ويقول غفر الله لنا ولك ، وأدخلنا جنته ، فاذا كان الدينار والدرهم ، فهيهات؟ ويحكم ماهكذا كان السلف الصالح ، فعلام تركتم الاقتداء وقد أمرتم به .

وكان يقول : أيها الناس مابالنا نتقارب فى العافية واذا نزل البلاء تباينّا ، ماهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعوذ بالله من خلاف عليهم. وسمع رجلا يكثر الكلام .فقال: ياابن أخى أمسك عليك لسانك،فقد قيل ماشىء أحق بسجن من لسان. وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:(وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم) . وكان يقول: لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد أن يتكلم ففكر ، فان كان الكلام له تكلم به ، وان كان عليه سكت . وقلب الجاهل وراء لسانه ، كلما هم بكلام تكلم به .

وكان يقول: روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: (ان بدلاء أمتى لايدخلون الجنة بكثرة صلاة ولاصيام ، ولكن يدخلونها برحمة الله وسلامة الصدور ، وسخاوة الانفس ، والرحمة لكافة المسلمين). وكان يقول: روي ان مناديا ينادى يوم القيامة ، ليقم من كان له أجر على الله ، فلا يقوم إلا رجل قضى لاخيه حاجة ، أوعفى له عن مظلمة ، أو أسدى اليه نعمة . وكان يقول: العاقل لا يشترى عداوة رجل بمودة الف رجل ، انه ان فعل ذلك خسر ولم يربح . وكان يقول: عز الشريف أدبه ، وتقواه حسبه . وكان يقول : من رمى أخاه بذنب قد تاب الى الله عز وجل منه ، لم يمت حتى يبتلى بمثل ذلك الذنب .

وقيل سأله الربيع بن صبح . فقال : يا أبا سعيد ما تقول فى العشر الركعات التى بعد صلاة العشاء أتطوع هى أم سنة ؟ فقال : ليست بسنة ، انها لو كانت سنة ماوسع المسلم تركها ، ولكن ياابن أخى من آداب العبد المسلم وقوام أمره اذا عوّد

نفسه من الخير عادة ، أو تعبد لله عبادة ، أن يدأب فيها ويقيم دهره عليها .

وكان يقول : مكتوب فى التوراة : الغنى فى القناعة ، والسلامة فى العزلة من الناس ، والعافية فى رفض الشهوة ، والنجاة فى ترك الرغبة ، والتمتع فى الدهر الطويل بالصبر فى العمر القصير . ثم يقول : تأدبوا رحمكم الله بآداب الله ؛ وحافظوا على ما فى كتب الله ؛ تكونوا من أولياء الله .

وكان يقول : ما أنعم الله على عبد نعمة ، الا وعليه فيها تباعة إلا ما كان من نعمته على سليمان بن داود عليهما السلام . فان الله عز وجل يقول : (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) وكان يقول: من أيقن بالخلف جاد بالعطية ، وكان يقول : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . وكان يقول : إنما أنت أيها الانسان عدد فاذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك . وكان يقول : رحم الله ابن مسعود كأنه عاينكم حين قال : زاهدكم راغب ، ومجتهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل . وكان يقول : من خاف الله أخاف الله سبحانه منه كل شىء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء . وكان يقول: روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: خالطوا وزايلوا . ثم يقول الحسن :خالطوا الناس فى الاخلاق الكريمة ، وزايلوهم فى الافعال القبيحة . وكان يقول : يجب على المسلم لأهل ملته أربعة أشياء : معونة محسنهم ، وإجابة داعيهم ، والاستغفار لمذنبهم ، والدعوة إلى الحق لمدبرهم . وكان يقول: من وافق من أخيه المسلم شهوة ، أو قضى له حاجة، غفر له ماتقدم من ذنبه .

وكان يقول: روى أن الله عزوجل قال لآدم عليه السلام يا آدم: أربع فيهن جميع الامر لك ولولدك من بعدك ؛ واحدة لى، وواحدة لك، وواحدة بينى وبينك، وواحدة بينك وبين الناس . فأما التى لى ، فان تعبدنى لاتشرك بى شيئا ، وأما التى لك فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه ، وأما التى بينى و بينك فعليك الدعاء وعلىّ الاجابة ، وأما التى بينك وبين الناس فأن تصحبهم بما تريد أن يصحبوك به . وكان يقول : الفهم وعاء العلم ، والعلم دليل العمل ، والعمل قائد الخير ، والهوى مركب المعاصى ،

والمال داء المتكبرين، والدنيا سوق الآخرة، والويل كل الويل لمن قوى بنعم الله على معاصيه . وكان يقول: ابن آدم إن الايمان ليس بالتحلي ولا بالتمنى . ولكنه بما وقر فى القلب وصدقته الأعمال. وقيل نعى داود الطائى للحسن رحمه الله فقال: غفر الله له ! وأيم الله لقد كان كالعافية لا يعرف قدرها إلا عند فقدها ، سمع ذلك حبيب ابن أوس فقال:

والحادثات وان أصابك بؤسها فهو الذى أنبأك كيف نعيمها

وقيل دعاه يوما رجل من المكثرين ، فناداه: ياأبوسعيد، فقال شغلك بالدوانيق وجمعها منعك، ياابن أخى ان تقول ياأباسعيد. ثم قال: تعلموا وفقكم الله العلم للاديان، والطب للابدان ، والنحو لتقويم اللسان . وكان يقول : من لحن فى القرآن ، فقد كذب على الله ، لأن الله سبحانه وتعالى قال: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . واللحن من أكبر الباطل . وقال له رجل: انك ياأبا سعيد لاتلحن . فقال: يا ابن أخى لقد سبقت اللحن .

وقيل له : ما المروءة؟ فقال : إن لاتطمع فتذل ، ولا تسأل فتقل . وكان يقول : اذا لم تكن حليما فتحلّم ، واذا لم تكن عالما فتعلّم ، فقل ما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم . وكان يقول : أربع من كن فيه كان كاملا ، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، أو عقل يسدده ، أو حسب يصونه ، أو حياء يوقره .

وكان يقول : إلى من يشكو المسلم ، إذا لم يشك لأخيه المسلم ؟ ومن الذى يلزمه من أمره مثل الذى يلزمه ، ان المسلم مرآة أخيه المسلم ، يبصره عيبه ، ويغفر له ذنبه . قد كان من كان قبلكم من السلف الصالح ، يلقى الرجل الرجل فيقول : يا أخى ما كل ذنوبى أبصر ، ولا كل عيوبى أعرف، فاذا رأيت خيرا فمرنى ، واذا رأيت شرا فانهنى . وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: رحم الله امرءا أهدى إلينا مساوينا . وكان أحدهم يقبل موعظة أخيه فينتفع بها .

وكان يقول : المؤمن شعبة من المؤمن يحزن إذا حزن، و يفرح إذا فرح. وكان يقول: ان لك من خليلك نصيبا فتخير الاخوان والأصحاب ، وجانب الأمر الذى يعاب. وكان يقول: ترفعوا عن بعض الأمر فان الرجل ليأكل الأكلة ، و يدخل المدخل ، ويجلس المجلس يغير قلبه ، ويذهب دينه ، وهو لا يشعر . وقيل له : يا أبا سعيد إن قوما يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقطات كلامك ليعيبوك بذلك. فقال: يا ابن أخى لا يكن فى ذلك عليك شىء . فانى طمّعت نفسى فى دخول الجنان ، ومجاورة الرحمن ، ومرافقة الانبياء عليهم السلام ، ولم أطمعها فى السلامة من الناس.

وكان يقول: من طلب العلم لله لم يلبث أن يرى ذلك فى خشوعه وزهده وتواضعه. وكان يقول : أحرصوا على حضور الجنائز فان فيها ثلاثة أجور : أجرا لمن عزى ، وأجرا لمن صلى ، وأجرا لمن وارى. وقد روى أن من أتبع جنازة حتى توارى غفر له سبعون موبقة . وقيل: لما توفيت النوار زوجة الفرزدق حضر جنازتها وجوه أهل البصرة وحضر الحسن فسايره الفرزدق ، وقال له: أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ فقال: وما يقولون ؟ قال : يقولون حضر هذا القبر خير الناس ، وشر الناس . فقال الحسن: وما يريدون بذلك ؟ قال يزعمون أنك عافاك الله خير الناس، وإنى شر الناس. فقال الحسن: لستُ بخيرهم، ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لمثل هذا اليوم ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، فلما دفنت النوار قال الفرزدق :

أخاف وراء القبر ان لم تعافنى ... أشدّ من القبر التهابا وأضيقا

اذا قادنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة موثقا

فبكى الحسن حتى انتحب . وقال : ان من الشعر لحكمة ثم قال يرحمك الله أبا فراس ! اعمل لمثل هذا اليوم إن كنت ذا نظر صحيح؟ فانك تقدم على جواد عدل ؛ وكأنْ قد . ثم افترقا ومات الفرزدق فرؤى فى النوم : فقيل له : كيف كان قدومك على الله سبحانه ؟ فقال : رحمت بيومى مع الحسن .

وكان الحسن يقول : أيها الناس إيا كم والتسويف ، فانى سمعت بعض الصالحين يقول نحن لا نريد أن نموت حتي نتوب ثم لا نتوب حتى نموت .

وكان يقول : فى الطعام اثنتا عشرة خصلة ، أربع فريضة وأربع سنة وأربع أدب : فأما الفريضة كالتسميه ، واستطابة الأصل ، والرضى بالموجود ، والشكر على النعمة ؛ وأما السنة فالجلوس على الرجل الأيمن ، والأكل من بين يدى الآكل ، وتناول الطعام بثلاثة أصابع اليد اليمنى ، ولعق الاصابع ؛ واما الأدب فغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، وتصغير اللقم ، وإجادة المضغ ، وصرف البصر عن وجوه الآكلين .

وقيل جلس يوما فأتته امرأة لم تر الناس مثلها . فقالت : يا أبا سعيد أيجوز للرجل أن يتزوج من النساء أربعا . قال : نعم ! قالت : فهل يجوز مثل ذلك للنساء ؟ فقال : لا . فقالت ولم ؟ قال لأن الله عز وجل أحل ذلك للرجال وحرمه على النساء . فقالت : بعيشك يا أبا سعيد لا تفت بذلك أزواج النساء ثم انصرفت فاتبعها الحسن نظرة وقال ما على من ملك هذه ألاّ يرى غيرها . قالوا وما رؤى الحسن قبلها ولا بعدها مال إلى شيء من الدنيا ولا عرج عليه

وقيل كان لرجل من الصالحين عند رجل وديعة فمات المودع فجأة ، فسأل صاحبها عنها فقال ورثة الميت ما نعلم بها موضعا . فجاء الرجل إلى الحسن فأخبره فقال له ايئت زمزم فتوضى وصلى مخلصا ثم ادع باسم صاحبك الذى أودعته ، فان اجابك فاسأله عن امانتك التى أودعته . ففعل فلم يجبه أحد ، فأتى الحسن فأخبره فقال ايئت اليمن فقف عند وادى برهوت وادع صاحبك باسمه فاذا أجابك فاسأله . فأتى اليمن ، وفعل ما أمره الحسن به فأجابه الرجل فسأله عن أمانته فعرفه مكانها ، ثم قال السائل . يا أخى : ألم تك رجلا صالحاً فما الذى دهاك حتى ألقيت حيث أنت ؟ فقال : كنت قاطعاً للرحم . نعوذ بالله من سوء القضاء .

وكان الحسن يقول : جهد البلاء أربعة : كثرة العيال ، وقلة المال ، وجار السوء

فى دار المقام ، وزوجة تخون . وكان يقول :أعز الأشياء . درهم حلال ، أو أخ فى الله إن شاورته فى دنياك وجدته متين الرأى ، وإن شاورته فى دينك وجدته بصيراً به . وكان يقول: يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً، ويكون عابداً ولا يكون عاقلا . ولقد كان مسلم بن يسار عابداً عالماً عاقلا . وكان يقول : لله درّ بكرُ بن عبد الله لقد سمعته يأمر بالحلم ، ويحث على العفو ، ويقول : أيها الناس أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم. فقد كان أبو الدرداء يقول : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب . وكان الحسن يقول : من تسر بلَ العقلَ أمنَ من الهلكة . وكان يقول : المغبون من غُبن عقله . وكان يقول : إصحَب الناس بمكارم الأخلاق فإن الثواء بينهم قليل.

قال يونس بن حبيب سمعت الحسن البصرى رحمه الله يقول : اثنان لا يصطحبان أبداً . القناعة والحسد . واثنان لا يفترقان أبداً . الحرص والحقد. وكان يقول : يسود الرجل بعقله وسخائه وحلمه . وكان يقول : لا تأتى إلا مَن تأمل نائله ، أو تخاف سطوته ، أو ترجو بركة دعائه ، أو تقتبس من علمه .

الفصل الثالث

فيما أورده من الحكم والمواعظ مختصرا

على جهة البلاغة والايجاز

سمع الحسن رجلا يقول: اللهم اهلك الفجار . فقال: إذاً نستوحش الطريق ويقل المتصرفون . وكان يقول : إن هذا الدين قويٌ وإن الحق ثقيل وإن الانسان ضعيف فليأخذ أحدكم ما يطيق فان العبد إذا كلف نفسه من العمل فوق طاقتها خاف عليها السآمة والترك . وكان يقول : المرض زكاة البدن كما أن الصدقة زكاة المال فكل جسم لا يتشكى كمثل مال لا يزكىّ . وكان يقول : أفضل العمل الفكرة والورَع فمن كانت حياته كذلك نجا وإلا فليحتسب حياته . وكان يقول: الفكرة

مرآة تريك حسنتك من سيئتك ، فمن اعتمد عليها أفلح ومن أغفلها افتضح . وقال له رجل يوماً يا أبا سعيد: كنت حدثتني بحديث فنسيته. فقال الحسن : لولا النسيان لكثر الفقهاء . وقال أبانُ : دخلت على الحسن المسجد فقلت هل صليت رحمك الله؟ فقال: لا! قلت: إن أهل السوق قد صلوا . فقال ومن يأخذ عن أهل السوق دينه إن نفقت سلعتهم أخروا الصلاة . و إن كسدت قدموها . وكان يقول: احذر ثلاثة لا تمكن الشيطان فيها من نفسك ؛ لاتخلوَنّ بامرأة ولو قلت أعلمها القرآن . ولا تدخل على سلطان ولو قلت آمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر . ولا تجلس إلى صاحب بدعة فانه يمرض قلبك و يفسد عليك دينك . وكان يقول : تفقد الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والقراءة والذكر ، فان وجدت ذلك فامض وأبشر و إلا فاعلم أن بابك مغلق فعالج فتحه. وكان يقول: لولا ثلاثة ماطأطأ ابن آدم رأسه: الموت والمرض والفقر و إنه بعد ذلك لوثاب: وكان يقول: أيها الناس إنّا والله ماخلقنا للفناء ولكنا خلقنا للبقاء و إنما ننقل من دار إلى دار . نظم ذلك أبو العلاء المعرى فقال :

خلق الناس للبقاء فضلّت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شِقوة أو رشاد

وكان يقول: من وقر صاحب بدعة فقد سعى فى هدم الاسلام . وكان يقول روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (إذا مدح الفاسق غضب الله تعالى). وكان يقول: احذروا العابد الجاهل، والعالم الفاسق ، فان فيهما فتنة لكل مفتون . وكان يقول : ابن آدم لايغرنك أن تقول المرء مع من أحب ، فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم و إن اليهود والنصارى ليحبون أنبياءهم ولا والله مايحشرون معهم ولا يدخلون فى زمرتهم و إنهم حَصَب جهنم هم لها واردون . وكان يقول: لاتزال هذه الأمة بخير ولا تزال فى كنف الله وستره وتحت جناح ظله مالم ترْفِق خيارهم بشرارهم . وتعظم ابرارهم فجارهم، وتميل قراؤهم إلى أمرائهم، فاذا فعلوا ذلك رفعت يد الله عنهم وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وقذف فى

قلوبهم الرعب. وقيل: رأى الحسن نعيم بن رضوان يمشي مشية المتكبر. فقال: انظروا إلى هذا ليس فيه عضو إلا ولله تعالى فيه نعمة ، وللشيطان لعنة .

وكان يقول : يحاسب الله سبحانه المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل ، و يعذب الكافرين بالحجة والعدل. وكان يقول : ياعجباً لألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف. وكان يقول: من دخل مداخل التهمة ، لم يكن له أجر الغيبة. ورأى شيخاً يعبث بالحصى و يقول: اللهم زوجني الحور العين! فقال الحسن: بئس الخاطب أنت أيها الشيخ! تخطب الحور العين، وتلعب كما يلعب المجانين. وكان يقول : من أحب أن يعلم ما هو فيه؟ فليعرض عمله على القرآن؛ ليتبين الخسران من الرجحان . وكان يقول : رحم الله عبداً عرض نفسه على كتاب الله فان وافق أمره حمد الله وسأله المزيد، وإن خالف استعتب ورجع من قريب. وكان يقول: ياعجباً لابن آدم! حافظاه على رأسه. لسانه قلمهما، وريقه مدادهما ، وهو بين ذلك يتكلم بما لايعنيه. وكان يقول : ابن آدم! تحب أن تذكر حسناتك، وتكره أن تذكر سيئاتك، وتؤاخذ غيرك بالظن وأنت مقيم على اليقين مع علمك أنه قد وكل بك ملكان يحفظان عليك قولك وعملك ، ابن آدم ! إن اللبيب لايمنعه جدّ الليل من جدّ النهار، ولا جد النهار من جد الليل ، قد لازم الخوف قلبه، إلى أن يرحمه ربه . وكان يقول : رب هالك بالثناء عليه . ومستدرَج بالاحسان إليه. وكان يقول: اياكم والمدح فانه الذبح. ولقد روى أن رجلا مدح بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم: «قطعتم ظهره ، لو سمعها ما أفلح بعدها أبدا».
وكان يقول : ما أنصف ربهُ عبد اتهمه فى نفسه ، واستبطأه فى رزقه . وكان يقول : لا شيء أولى بأن تمسكه من نفسك ، ولا شيء أولى بأن تقيده من لسانك ، ولا شيء أولى بأن لاتقبله من هواك . وكان يقول : ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام أن تمسك من نفسك . وكان يقول : ابن آدم ! انك لست بسابق اجلك ، ولا بمغلوب على رزقك ، ولا بمرزوق ماليس لك ، فلم تكدح ؟ وعلام تقتل نفسك ؟

ولقى أعرابى الحسن. فقال: أصلحك الله! علمنى دينا وسوطا . لاذاهباً شطوطاً . ولا هابطاً هبوطاً . فقال الحسن : ياابن أخى لئن قلت ذلك لقد أحسنت . إن خير الأمور لأوساطها. وكان يقول: من لم يجرب الأمور خُدِعَ ، ومن صارع الحق صُرِع. وكان يقول: ابن آدم بين ثلاثة أشياء . بلية نازلة ؛ ونعمة زائلة ؛ ومنية قاتلة . وقال: ابن آدم عرض لثلاثة أسهم . بلية ، أورزية ، أو منية . وكان يقول : ابن آدم عرض للبلايا، والرزايا، والمنايا . ثم ينتحب و يبكى و يقول: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ولما بلغ الحسن مصرع الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه بكى وانتحب وتأوه ، وقال : واحسرتاه ماذا لقيت هذه الأمة ،قتل ابن دَعِيّها ابن نبيّها ! اللهم كن له بالمرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وكان يقول : ابن آدم قدّم ماشئت أن تقدم من عمل صالح أو غيره ، فانك قادم عليه، وأخّر ماشئت أن تؤخر ، فانك غير راجع اليه. وكان يقول : من أدرك آخر الزمان، فليكن حِلْسا من أحلاس بيته. وكان يقول : مالى أسمع حسيسا ولا أرى أنيساً. وقيل له. خرج خارجى بالحيرة ، فقال :ياويحه راد منكراً[1] فأنكره ، وأراد تغييره فوقع فيما هو أشد منه . وانكر منه. وكان يقول : من ذمّ نفسه فى الملأ فقد مدحها . وبئس ماصنع . وكان يقول : لولا البُدلاء لخسفت الأرض . ولولا الصالحين هلكت الأمة . ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم . ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً . ولولا الحمقى لخربت الدنيا . ولولا الريح لانتن مافى الأرض والسماء. وكان يقول : ثلاثة من قواصم الدهر ؛ أمام تطيعه فيضلك . وجار ان علم خيراً ستره وان علم شراً نشره . وفقر ظاهر لا يجد صاحبُه متلذذاً .

وقال العلاء بن زياد : قلت للحسن رجلان تفرغ أحدهما للعبادة ، واشتغل الآخر بالسعى على عياله. أيهما أفضل ؟ فقال الحسن. ما اعتدل الرجلان، الذى تفرغ للعبادة أفضل وأحسن صنعا . وكان يقول: إذا رأيت فى ولدك ماتكره فاستعتب ربك، فانما ذلك شىء أردت به أنت . قوله رحمه الله ـ فاستعتب ربك ـ أى راجعه، وتب إليه واستغفره

(١) كذا فى الأصل : ولعله رأى منكرا فأنكره .

ذنو بك . وكان يقول: إذا أظهر الناس العلم، وضيعوا العمل وتحابّوا بالألسن،وتباغضوا بالقلوب ؛ وتقاطعوا فى الأرحام،لعنهم الله جل ثناؤه ، وأصمهم وأعمى أبصارهم . وسأله رجل عن الفتنة ما هى وما يوجبها ؟ فقال:هى والله عقوبة الله عز وجل · يحلّها بالعباد إذا عصوه ، وتأخروا عن طاعته. وقيل له: ياأبا سعيد من أين أُتى على الخلق ؟ فقال : من قلة الرضى عن الله عز وجل · قيل له. فمن أين دخل عليهم قلة الرضى عن الله عز وجل ؟ فقال: من جهلهم بالله ، وقلة المعرفة به . وكان يقول : هجران الأحمق قربة إلى الله، ومواصلة العاقل اقامة لدين الله، وا كرام المؤمن خدمة لله ، ومصارمة الفاسق عون من الله . وكان يقول : لا تكن شاة الراعى أعقل منك . تزجرُها الصيحة ، وتطردها الاشارة . وكان يقول : سمعت أبا بكر بن عبد الله المزنى يقول: اجتهدوا فى العمل فان قصّر بكم ضعف ، فكفوا عن المعاصى . وكان يقول : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لم يؤتَ الناس فى الدنيا خيراً من اليقين والعافية ، فأسلوهما الله عز وجل» ، ثم يقول الحسن : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم باليقين طُلِبَت الجنة، وباليقين هُرِبَ من النار ، وباليقين صُبِر على المكروه ، وباليقين أديت الفرائض ، وفى المعافاة خير كثير. وكان يقول : المؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن. وكان يقول : من لم تنههُ صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته من الله عز وجل إلا بُعداً ، ولاعنده جل ثناؤه إلا مقتاً.وكان يقول : المراعى لعمله كالمدافع فى الحرب بنفسه ، بل مراعات العمل أفضل وا كثر أجراً. وكان يقول: ابن آدم تستحل المحارم ، وتأتى الجرائم ، وتركب العظائم ، وتتمنى على الله الأمانى· ستعلم أى فاجر؟ حين لا ينفعك مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم. وكان يقول : ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة . فسمع ذلك محمد بن واسع. فقال: يرحم الله الحسن ، صدق والله لو وافق قلباً للطاعة فارغاً ، وعقلا من غلبة الشهوة سالماً. وكان يقول. ابن آدم مالك وللشر ؟ وهذا الخير دونك ، ابن آدم اتق الكبائر فانك لا تزال بخير ، مالم تصب كبيرة تغير عليك قلبك ، وتهدم صالح عملك . وكان

يقول. لله دَرُّ أهل الحق كانت درة عمر رضى الله عنه أهيبَ من سيف الحجاج . وقيل له . يا أبا سعيد من أشد الناس صراخاً يوم القيامة ؟ فقال : رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله. وكان يقول : المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر واحد . ووجه واحد . ونصيحة واحدة . وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم . يسعى بكل ريح . وكان يقول : المؤمن صدَّق قوله فعله ، وسره علانيته ، ومشهده مغيبه . وقال له رجل : أيحسد المؤمن؟ فقال : لا أبالك ما أنساك أخوة يوسف عليهم السلام . وما فعل بهم الحسد . وكان يقول : ثلاثة لا غيبة فيهم ، الفاسق المعلن بفسقه ، أن يذكر ذلك منه ، وصاحب البدعة أن يذكر ببدعته ، والامام الجائر أن يذكر بجوره .

قال حميد خادم الحسن : قلت له يوما يا أباسعيد أصلحك الله أما ترى ما الناس فيه من الاختلاط ؟ فقال لى يا أبا بُحَيْر أصلح أمر الناس أربعة ، وأفسدهم اثنان . فأما الذين أصلحوا أمر الناس ، فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم السقيفة حين قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير . فقام عمر فقال : ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأئمة من قريش ، قالوا بلى ! قال : أولستم تعلمون أنه قدم فى الصلاة أبا بكر رضى الله عنه ؟ قالوا نعم ! قال فأيكم يتقدّم أبا بكر . قالوا : لا أحد فسلمت الأنصار ، ولولا مافعله عمر لتنازع الناس للخلافة ، وادعتها كل طائفة الى يوم القيامة .

ثم الذى فعله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، حين شاور الناس فى شأن أهل الردة . فكلهم أشار عليه بأن يقبل منهم ما أطاعوا به من الصلاة ، ويدع لهم الزكاة . فقال رضى الله عنه : والله لو منعونى عقالا كانوا يُعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم عليه . ولولا الذى فعله أبو بكر رضى الله عنه لألحد الناس فى الزكاة الى يوم القيامة .

ثم الذى فعله عثمان رضى الله عنه حين جمع الناس على مصحف جمع القرآن

فيه . وكانوا يقرؤنه على حروف فيقول قوم قراءتنا أفضل من قراءتكم ، حتى يكاد بعضهم يكفر بعضا ، ولولا الذى فعله عثمان رضى الله عنه . لألحد الناس فى القرآن الى يوم القيامة .

ثم الذى فعله على بن أبى طالب رضى الله عنه حين قاتل أهل البصرة ، فلما فرغ القتال قسم بين أصحابه ماحوى العسكر من أموالهم. فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا تقسم علينا أبناءهم ونساءهم ؟ فأنكر عليهم ماطلبوه من ذلك . وقال : فمن يأخذ أم المؤمنين فى سهمه؟ انكارا لما ذهبوا اليه وطالبوه به .

ثم قال . أرأيتم هؤلاء يكن اللواتى قتل أبناؤهن ورجالهم اتلزموهن العدة ، ويرثن الربع ، والثمن، والثلث، والسدس. فقالوا نعم ! فقال : لو كنّ إماءً لما كان لهم ميراث ، ولا عليهن عدة ، فعلموا صواب ما ذهب اليه ، وسلموا لأمره ورضوا لحكمه . ولولا ما فعله على رضى الله عنه ، ما علم الناس كيف تكون مقاتلة أهل القبلة .

وأما الأمران اللتان افسدا أمر الناس : فما فعله عمرو بن العاص ، من رفعه المصاحف ، وقوله ما قال حتى حكّمت الخوارج ، فلا يزال هذا التحكيم الى يوم القيامة ، وقد كان على رضى الله عنه ، فهم ما أراده عمرو ، وقال كلمة حقٍ أريد بها باطل .

والأمر الثانى: ما فعله المغيرة بن شعبة ، حين كتب اليه معاوية رحمه الله أقدم الىّ معتزلا عملك ، فتأخر عنه أياما ثم ورد عليه . فقال معاوية : ما أبطأ بك قال المغيرة: أمر بدأته كرهت أن آتى قبل إحكامه . قال: وما هو ؟ قال . أخذت البيعة ليزيد على أهل الكوفة . قال أو فعلت ذلك ؟ قال بلى ! قال فارجع الى عملك وتمم ما بدأته ، فلما خرج قال له أصحابه ما وراءك ؟ قال : وضعت والله رجل معاوية فى غرزعىٍّ لا يزال فيه الى يوم القيامة . قال الحسن : فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ، وصارت الخلافة تتوارث ، ولولا ذلك لكانت شورى لايليها إلا من اتفق على فضله ، واستحقاقه الامامة الى يوم القيامة .

وكان يقول : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يأتى على الناس زمان . لاتنال المعيشة فيه إلا بركوب المعصية . فاذا كان ذلك الزمان قبح التزويج وحلت العزوبة » . وكان يقول : لقد مضى بين أيديكم أقوام ، لو أنفق أحدهم عدد الحصى لخشى أن لاتتقبل منه ، ولاينجو لعظم الأمر فى نفسه . وسئل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال: كان والله سهما صائبا من مرامى الله ، وكان ربّانى هذه الأمة فى ذِروة فضلها وشرفها . كان ذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وزوج فاطمة الزهراء ، لم يكن بالسروقة لمال الله ، ولا بالنؤمة فى أمر الله ، ولا بالملولة فى حق الله ، أعطى القرآن عزائمه وعلم ماله فيه وما عليه ، رضى الله تعالى عنه ، وكرم وجهه .

الفصل الرابع

فى ذم الدنيا ونهيه عن التعلق بها

قال هشام بن حسان سمعت الحسن يقول : والله ما أحد من الناس بُسط له فى أمر من أمور دنياه ، فلم يخف أن يكون ذلك مكرا به واستدراجا له إلا نقص ذلك من عمله ودينه وعقله . ولا أحد أمسك الله الدنيا عنه ، ولم ير أن ذلك خيرا له إلا نقص من عمله وبان العجز فى رأيه . وكان يقول: ما من مسلم رزق يوما بيوم فلم يعلم أن ذلك خير له إلا كان عاجز الرأى . وكان يقول : ان الله عز وجل ليُعطى العبد من الدنيا مكرا به ويمنعه نظرا له . وكان يقول : لقد أدركت أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة حتى ردوها إلى من أئتمنهم عليها ثم راحوا خفافاً غير مثقلين . ولقد أدركت أقواما كانت الدنيا تتعرض لأحدهم وأنه لمجهود فيتركها مخافة التباعة . وكان يقول : والله ما بلغت الدنيا ولا انتهى قدرها إلى أن يضيع الرجل فيها حسبه ودينه . وكان يقول : ماعجبت من شىء كعجبى من رجل لايحسب حب

الدنيا من الكبائر ؛ وأيم الله إن حبها لمن أكبر الكبائر وهل تشعبت الكبائر إلا من أجلها ؟ وهل عبدت الأصنام ، وعصى الرحمن إلا لحب الدنيا وإيثارها ؟ وكان يقول : المؤمن الفطن اللبيب فى الدنيا كالغريب لايجزع من ذلها ، ولا يأنس بقربها ، ولا يأسى لبعدها ، ولا يأمن غِيَرَها ، للناس حال وله حال .

وكان يقول: يحشر الناس عراة يوم القيامة ماخلا أهل الزهادة فى الدنيا. وكان يقول: أيها الناس! والله ما أعز هذا الدرهم أحد إلا اذله الله تعالى يوم القيامة . ولقد ذكر أن ابليس لعنه الله ، لما ضرب الدينار والدرهم ، نقرهما وجعلهما على رأسه ، وقال: من أحبكما فهو عبدى حقا ، أصرّفه كيف أشاء . وقال : إذا أحب بنو آدم الدنيا فما أبالى أن لايعبدوا صنما ولا يتخذوا إلهاً غير الله ربا، حبهم الدنيا يوردهم المهالك. وكان يقول : رأينا من أعطى الدنيا بعمل الآخرة ، وما رأينا من أعطى الآخرة بعمل الدنيا . وكان يقول : المؤمن لايصفو له فى الدنيا عيش . وكان يقول : لقد روى ان المسيح عليه السلام قال: الدنيا لأبليس مزرعة وأهلها له حراثون. وكان يقول: من عرف ربه أحبه وآثر ماعنده ، ومن عرف الدنيا وغرورها زهد فيها . وقيل له: يا أباسعيد هل يُرى الله عز وجل فى دار الدنيا ؟ فقال. لا! قيل فهل نراه فى الدار الآخرة؟ فقال نعم ! قيل وما الفرق بين ذلك ؟ فقال: لأن الدنيا فانية وفان كل ما فيها ، ولأن الآخرة باقية وباق كل ما فيها ، ومحال أن يرى الباقى بالفاني ، والقديم الأزلى بالمحدث ، وإذا كان يوم القيامة خلق الله لعباده أبصاراً باقية يرون بها ربهم تفضلا عليهم واكراما لهم .

وكان يقول: روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راقد على سرير موصول بالشريط ، وقد اثر فى جنبه أثر الحبل فدمعت عيناه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مالك يا ابن الخطاب ؟ فقال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك والتنعيم ؛ ورأيتك وأنت رسول الله وصفيه ومصطفاه وحبيبه تنام على سرير موصول بالشريط . فقال

صلى الله عليه وسلم : أما ترضى ياعمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة ؟ فقال: رضيت يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب سافر فى يوم صائف ، فرفعت له شجرة ذات ظل ظليل فنزل إليها فقال تحتها هنيهة ، ثم راح وتركها » .

قال الحسن . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويلعق أصابعه ، ويأكل على الأرض . ويقول ألف ألف صلاة ، وألف الف سلام عليه : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » .

وكان يقول: وجد فى حجر مكتوب ابن آدم ! لو أنك رأيت قليل ما بقى من أجلك لزهدت فيما ترجوه من أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت فى حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك ، لقد زلت بك قدمك واسلمك أهلك وحشمك ، وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب وصرت تدعى ولا تجيب . وكان يقول: إن رجلا ليس بينه و بين آدم إلا أب ميّت لمغرق فى الموتى . وكان يقول رضى الله عنه وارضاه : مثل العلماء فى الجهال مثل الأطباء فى المرضى . وسمع الحسن رضى الله عنه الحجاج يخطب على منبر البصرة و يقول للناس : إنّ الله تبارك وتعالى ، قد كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا على غائب الآخرة ، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل . ثم يقول: عجبا للحجاج ! كيف عرف ما عرف ، ثمّ صرف عَن الحق كما صرف .

الفصل الخامس

فيما أورده على جهة الاستغفار والدعاء

والنهى عن التصنع والرياء

سمع الحسن ليلا وهو يقول : الهى من أولى بالزلل والتقصير منى، وأولى بالمغفرة والعفو منك عنى. وقد خلقتنى ضعيفاً لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعاً ! الهى علمك فىّ سابق، وقضاؤك بي محيط ، وأمرك فىّ نافذ ، أطعتك باذنك ، ومعونتك والمنة لك. وعصيتك بعلمك والحجة لك ، فبوجوب رحمتك وانقطاع حجتي ، ثبت خوفك فى قلبى حتى لا أرجو سواك ، ولا أخاف غيرك . اللهم يا أرحم الراحمين صل على محمد خاتم النبيين ، واغفر لى ولكافة المؤمنين وحسبى الله ونعم الوكيل

وروى انه كان اذا أراد سفرا قال: يامن اذا استودع شيئاً حفظه وأداه، استودعك من غاب عنى ومن حضر من أهلى وولدى وكل ما ملكته يدى ، فاحفظهم يا من لا تخيب ودائعه .

وكان اذا عرض له هم أو أصابه كرب . قال : يا حابس يد ابراهيم عن ذبح ابنه وهما يتناجيان فيقول ابنه ارفق يا أبت ويقول ابراهيم اصبر لأمر ربنا يا بنى ، يا مقيّض الركب ليوسف فى الأرض القفر ، وغيابات الجب وجاعله بعد العبودية ملكا ، ياسامع همس ذى النون فى ظلمات ثلاث، يارادّ بصر يعقوب عليه وجاعل حزنه فرحا ، يا راحم عبرة داود . وكاشف ضر أيوب ، يامن يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ، ويغيث من استغاث به ورجاه ، يا من لا يُعبد رب سواه ، ياعالم النجوى ، وكاشف البلوى ، أسألك أن تصلى على نبيك المصطفى ، وعبدك المرتضى محمد وعلى آله وصحبه ، وأن تكفينى ما اهمنى ، وتفرج كربى ، ياخير من سئل ، وأفضل من رجى ، وارحم من استرحم ، افعل بى من الخير ما أنت أهله يا أرحم الراحمين ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

وكان اذا دخل الجبانة يقول : اللهم رب هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة ، التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، ولرحمتك راجية ، أرسل عليها روحامنك وسلاما منى . ثم يقول : روى ان العبد اذا قال ذلك استغفر له كل ميت مذ خلق الله آدم الى أن تقوم الساعة .

وروي أن الحجاج أخافه وطلبه فقال : يا سامع دعوتى ويا عدتى فى ملمتى ، ويا كاشف كربتى وشدتى ، ويا راحمى وولى نعمتى ، ويا الهى واله ابراهيم واسمعيل واسحاق و يعقوب والأسباط وموسى وعيسى ومحمد ورب الناس كلهم ، بحق كهيعص وطه ويس والقرآن الحكيم ، صلى على محمد وعلى آل محمد الطاهرين ، واكفنى شره وشر كل ذى شر ، وعافنى من الحجاج وحزبه وأشياعه وجنده، واصرف عنى بقدرتك ما يحاوله، وكف عنى أذاه وشره، ولاتجعل له على سبيلا يارب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد خاتم النبيين وسلم تسليما .

وكان يقول: اذا مرض اللهم لا تجعلنى ممَّن اذامرض ندم، واذا شفى فتن ، واذا افتقر حزن ، واكفنى اللهم كفاية من استكفاك وعافنى فى حياتى و بعد مماتى .

وقيل وعظ يوماً : فتنفس رجل الصعداء. فقال: يابن أخى ماعساك أردت بما صنعت ؟ ان كنت صادقا فقد شهرت نفسك . وان كنت كاذبا فقد أهلكتها . ولقد كان الناس يجتهدون فى الدعاء وما يُسمع لأحدهم صوت . ولقد كان الرجل ممَّن كان قبلكم يستكمل القرآن فلا يشعر به جاره . ولقد كان الآخر يتفقه فى الدين ولا يطَّلع عليه صديقه . ولقد قيل لبعضهم : ما أقل التفاتك فى صلاتك وأحسن خشوعك ؟ فقال : يا ابن أخى وما يدريك أين كان قلبى ؟

وكان يقول: نظر رجاء بن حَيَوة الى رجل يتناعس بعد الصبح . فقال : انتبه عافاك الله لا يظن ظان أن ذلك عن سهر وصلاة فيحبط عملك . ولقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رجل : يا رسول الله اشتبه علينا النفاق فما هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « المرائى منافق » .

وقيل رأى الحسن على فرقد السبخى كساء صوف. فقال: يا فرقد لعلك تحسب ان لك بكسائك على الناس فضلا؟ ولقد بلغنى أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية. وكان يقول: المرائى يريد أن يغالب قدر الله فيه، هو عند الله فاسق ممقوت. وقد أطلع على ذلك عباده المؤمنين وهو يريد أن يقول الناس هذا صالح وأنَّى له بذلك وعِلمُ الله عز وجل برأيه قد ثبت فى نفوس عباده .

قال الحسن: ولقد حدثت أن رجلا مر برجل يقرأ انَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا. فقال: والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فى الدنيا! فلزم الصلاة واعتكف على الصيام حتى كان لا يفطِر ولا يرى الا مصليا وذاكرا، وكلما مرَّ على قوم قالوا: ألا ترون هذا المرائى ما أكثر رياءه، فأقبل على نفسه وقال: ثكلتك أمك لا أراك تُذكرى إلا بشر، ولا أراك أصبت الا بفساد نيتك وفساد معتقدك، وانَّك لم تُرِدِ الله بعملك. ثم بقى على عمله لم يزد عليه شيئا الا ان نيته انقلبت. فانقلب علمُ الله عز وجل فيه فكان لا يمر بقوم الا قالوا: يرحم الله هذا! ثم يقولون الآن الآن . وكان الحسن يقول: أخلصوا لله أعمالكم فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحسن صلاته حين يراه الناس وأساءها حين يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه » . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من سمَّع الناس بعمله سمع الله به أسامع خلقه يوم القيامة وحقره وصغره » .

وكان الحسن يقول : ابن آدم أما تستحى تتكلم بكلام القانتين ، وتسطو سطوة الجبارين . وكان يقول : ابن آدم تلبس لُبْسة العابدين ، وتفعل أفعال الفاسقين ، وتخبت أخبات المريدين ، وتنظر نظر المغترين ، ويحك ! ما هذه خصال المخلصين ، إنك تقوم يوم القيامة بين يدى من يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

وقيل كان الحسن يقول: روى أنه من قبل الله سبحانه وتعالى من عمله حسنة واحدة أدخله بها الجنة . قيل: يا أبا سعيد فأين تذهب حسنات العباد ؟فقال: إن الله

عز وجل انما يقبل الخالص الطيب المجانب للعجب والرياء ، فمن سلمت له حسنة واحدة فهو من المفلحين .

وكان يقول: روى أن سعيد بن جبير رأى رجلا متماوتا فى العبادة. فقال : ياابن أخى ان الاسلام حى فأَحيه ، ولا تمته أماتك الله ولا أحياك . وكان يقول : من ذم نفسه فى الملأ فقد مدحها و بئس ما صنع .

وكان الحسن يروى أن عائشة رضى الله عنها : رأت رجلا متماوتا . فقالت : مابال هذا ؟ فقالوا انه صالح فقالت . لا أبعد الله غيره . كان عمر رضى الله عنه أصلح منه . وكان اذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع ، واذا أطعم أشبع ، فدعوا التصنُّع فان الله لا يقبل من متصنِّع عملا . وكان يقول . روى عن بعض الصالحين أنه كان يقول أفضل الزهد اخفاء الزهد . وكان يقول . من تزين للناس بما لا يعلمه الله منه شانه ذلك .

وكان يقول : تفكر ساعة خير عند الله من قيام ليلة . وكان يقال . ان كان فى الجماعة فضل ؛ فان فى العزلة سلامة . ولقد روى أن أبا هريرة رحمه الله : مرَّ بمروان بن الحكم وهو يبنى داره ، فقال : إيها ابا عبد القدوس . ابن شديدا ، وأمل بعيدا ، وعش قليلا ، وكل خضما ، والموعد الله . وكان يقول : قديما امتحن الناس بطول الأمل . لقد روى أن حمادا بن سلمة قال : كان عثمان النَّهشلى يقول أتت على ثلاثون ومائة سنة ما من شىء منى إلا وقد أنكرته ، إلاَّ أملى فانه يزيد كل يوم .

وقيل : جزع بكر بن عبد الله على امرأته لما ماتت جزعا شديدا، فنهاه الحسن عن الجزع، فجعل بكر يصف فضلها. فقال الحسن. عند الله خير منها فتزوج أُختها ثم لقى الحسن بعد ذلك فقال : يا أبا سعيد هى خير منها فقال له : لغيرها من الحور العين عافاك الله كنتُ أشرت لك ثم أنشده :

تؤمل أن تعمِّر عمر نوح   وأمر الله يطرق كلَّ ليله

وكان يقول. رأى بعض النساك صديقا له مهموما فسأله عن همه؟ فقال. كان يتيم أحتسب فيه الأجر فمات . قال: صديقه فاطلب يتيما غيره فانك لك ذلك. فقال: أخاف أن لا أجد يتيما فى مثل سوء خلقه . فقال : صديقه أفٍ لك أما لو كنتُ مكانك لم أذكر سوء خلقه . كأنه كره له أن يتبجح بما كان يلقى منه .

وكان يقول : روى عن أبى الدرداء أنه قال . أضحكنى ثلاثة ، وأبكانى ثلاثة . أضحكنى مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملأ فيه ولا يدر أراض ربه عنه أم غضبان عليه . وأبكانى هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقف بين يدى الله لا أدرى أيؤمر بى الى الجنة أم الى النار ؟

وكان الحسن يقول : ان لله ترائك فى خلقه. لولا ذلك لم ينتفع البنون وأهل الانقطاع الى الله بشى من الدنيا ؛ وهو الامل ، والأجل ، والنسيان .

الفصل السادس

فيما روى عنه عند تلاوة القرآن من الحكم والمواعظ

كان الحسن يقول : روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : أيها الناس اقرأوا القرآن وابتغوا ما عند الله جل ثناؤه بقراءته من قبل أن يقرأه قوم يبتغون ماعند الناس . وكان يقول : ان الرجل اذا طلب القرآن والعلم لله عز وجل لم يلبث أن يرى ذلك فى خشوعه وزهده وحلمه وتواضعه . وكان يقول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله وعرض عليه نفسه ، فان وافقه حمد ربه وسأله المزيد من فضله ، وان خالفه تاب وأناب ورجع من قريب . وكان يقول: أيها الناس إن هذا القرآن شفاء للمؤمنين، وامام للمتقين، فمن اهتدى به هُدى ، ومن صرف عنه شقى وابتلى . وكان يقول : انّ من شر الناس أقواما قرأوا هذا القرآن لا يعملون بسنته ولا يتبعون طريقته ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

لقد كان من تقدم يقرأ القرآن و يقوم بالسورة منه طول ليلته، فاذا أصبح عرف

ذلك فى وجهه . وان أحدكم يقرأ اليوم القرآن لايتجاوز لهواته وأنه سبحانه وتعالى يقول« كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته » أما والله ما هو حفظ حروفه واضاعة حدوده، وان أحدكم ليقول قرأت القرآن كله ما أسقطت فيه حرفاً ، كذب لعمرُ الله لقد أسقط كله ، والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ؟ متى كانت القراء تقول مثل هذا ، ان الله سبحانه وتعالى يقول« سنلقى عليك قولا ثقيلا » يريد جل ثناؤه العمل به ، وقال تعالى « واذا قرأناه فاتبع قرآنه » أى حلل حلاله وحرم حرامه. لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استكمل حفظ القرآن من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم الا النفر القليل استعظاما له ومتابعة أنفسهم لحفظ تأويله والعمل بمحكمه ومتشابهه .

وكان يقول رضى الله عنه : قراء القرآن ثلاثة نفر ؛ قوم اتخذوه بضاعة يطلبون به ما عند الناس ، وقوم أجادوا حروفه وضيعوا حدوده استدروا به أموال الولاة واستطالوا به على الناس ـ وقد كثر هذا الجنس من حملة القرآن ـ فلا كثر الله جمعهم ولا أبعد غيرهم ، وقوم قرؤا القرآن فتدبروا آياته وتداووا به .

وكان يقول رضى الله عنه : كيف يطمئن و يسكن لمن يؤمن بالقضاء والقدر ؟ كيف يتعب فى طلب الرزق والنصب ، ولمن يؤمن بالنار كيف يعمل الخطايا لا اله إلا الله محمد رسول الله .

وقرأ رضى الله عنه وارضاه : « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكورا » . ثم قال سبحان الله ما أوسع رحمته وأعم فضله ، وألطف صنعه ، جعل لمن عجز فى النهار خَلَفا فى الليل ، ولمن قصر فى الليل خلفاً فى النهار .

وقرأ رضى الله عنه : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » ثم قال عفى الله عنه . يا عجباً لمن يخاف ملكا ، أو يتقى ظالما بعد ايمانه بهذه الآية ؟ أما والله لو أن

الناس إذا ابتلوا صبروا لأمر ربهم ، لفرج الله عنهم كربهم ولكنهم جزعوا من السيف فوكلوا إلى الخوف ونعوذ بالله من شر البلاء .

وقرأ رضى الله تبارك وتعالى عنه : « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » ثم قال رضى الله عنه : أى منظر عباد الله ؟ ما أسوأه فاحذروه . روى أن النار تلفح وجوههم لفحة فلا تدع لحما ولاجلداً ، إلا ألقته على العراقيب . وأبقت الوجوه كالحة ، ثم يبكى ويقول . اللهم بك نستعيذ من عذاب النار وبئس المصير .

وقرأ رضى الله عنه : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » . ثم قال . ان العبد إذا قال قولا حسناً ، وعمل عملا صالحاً ، رفع الله تعالى قوله بعمله ، وان قال قولا حسنا وعمل عملا سيئا ، رد الله سبحانه القول على العمل .

وقرأ عفى الله عنه : « كأنهم يوم يرون مايوعدون ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ ، فهل يهلك الا القوم الفاسقون » فقال : حقا والله انه لا يهلك إلا القوم الفاسقون الذين كسبوا الدنيا من الحرام وأنفقوها اسرافا و بدارا فى الشهوات، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وقرأ رضى الله عنه : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » فقال : ابن آدم فاسق فى الدنيا حايد حين لات حين حيدة . ولا يتمكن هرب ولا غيبة .

وكان رضى الله عنه إذا قرأ : « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » يقول : ابن آدم ما كان لك فى غدوة أو روحة ماتصبر على المعصية .

وكان رضى الله عنه إذاقرأ « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولأخواننا الذين سبقونا بالأيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم » وكان إذا قرأ . « والذين لم يسرفوا ، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » قال رحم الله عبدا كسبَ من طيب ، وانفق قصدا ، وقدّم ليوم فقره وشدة حاجته فضلا ، ثم يقول: وجهوا رحمكم الله فضول أموالكم حيث وجهها الله ورسوله، وضعوها حيث وضعها ، فان الذين كانوا من قبلكم كانوا يأخذون قليلا و يبتاعون من الله جل ثناؤه أنفسهم بالفضل .

وكان اذا تلا: « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة» قال: يعملون مايعملون من بر، ويقدمون ما يقدمون من خير وهم خائفون أن لاينجيهم ذلك من عذاب الله.

وكان اذا تلا : «لقد خلقنا الانسان فى كبد » قال : ويح ابن آدم ! ما خلق الله خلقا يكابد من هذا العيش مايكابد هو .

وكان اذا تلا : « لنحيينه حياة طيبة » قال : لنرزقنه طاعة يجد لذتها فى قلبه . وروى انه قال . لنرزقنه رزقا لا نعذبه عليه ثم يقول كل حياة ابن آدم والله مرة إلا حياته فى الجنة .

وكان اذا تلا : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » الى آخر الآية . يقول : حوت حرم الله تعالى عليهم صيده يوما من ايام الجمعة وأحله فيما سوى ذلك من الأيام ، فكان يأتيهم فى يوم التحريم كالمخاض ما يمتنع من أحد للمحنة والبلية والاختبار بالطاعة ، فجعلوا يهمون بأخذه ويمسكون مخافة وتعبدا . وقل ماهمَّ عبد بذنب الا واقعه ، ثم عزموا عليه فأخذوه وأكلوه والله أوخمُ أكلة أكلها قوم ، فنودوا ثلاثا وهم نائمون . ثم نودوا : يا أهل القرية فانتبه الرجال والنساء والصبيان . فقيل لهم : كونوا قردة خاسئين، فكانوا كذلك . وايم الله لحرمة عبد مؤمن يقتل ظلماً أعظم عند الله من كل حوت خلق ، ولكن جعل الله تعالى موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر .

وقرأ : « فانما هى زجرة واحدة فاذا هم خامدون » ثم قال : أيها الناس الزجرة من الغضب فمن اتقى الله فليحذر غضبه .

وكان اذا تلا : « هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن » ثم قال : معشر الناس ما ظنكم بقوم وقفوا فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فلما انقطعت أعناقهم من العطش والجوع والخوف أمر بهم الى نار وجحيم وحميم . اللهم بك العياذ وأنت المستعاذ ، واليك اللجا وعليك التوكل ، فنجنا برحمتك من عذابك ياغفور .

وكان اذا تلا : « والذين هم فى صلاتهم خاشعون » قال : رحم الله قوماً كان

خشوعهم فى قلوبهم فغضوا أبصارهم وحفظوا فروجهم وتجنبوا المحارم ، فنالوا أعلى الدرجات .

وسئل عن قول الله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . فقال من جاء بلا اله الا الله وحده لا شريك له وبأنّ محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله مخلصاً بها قلبه فله عند الله عز وجل الجنة . وتلى : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » . ثم قال انما جزاء من قال لا اله الا الله أن يدخل الجنة وقرأ : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » . فقال : ذلك المؤمن الحذر الفطن الكيس ، الذى علم أن له معادا فقدم اليه عملا صالحا ، ثم قدم عليه فسره . وهو « يوم يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا » . وتلى : « كلاّ بَلْ ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . فقال : هو الذنب على الذنب حتى يموت ويسود القلب . وتلى : « فلا تمنن تستكثر » . ثم قال لا تستكثر عملك ، فانك لا تعلم ما قبل منه ولا ما ردّ فلم يُقبل . وقرأ : « الهاكم التكاثر » . ثم قال إنا لله وانا اليه راجعون . ألهى والله عن نار الخلود وشغل عن نعيم لا يبيد ثم قرأ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ثم قال أيها الناس لو توعدكم مخلوق بموت لما استقر بكم القرار فكيف بوعد ملك الملوك ، والحى الذى لا يموت . وكان اذا قام بالقرآن وانتهى الى هذه السورة لم يتجاوزها ولا يزال يرددها ويبكى الى أن ينقطع نحبه رحمه الله تعالى .

الفصل السابع

فى مكاتباته للخلفاء ومقاماته مع الابرار

روى عنه رحمة الله عليه أنه كان يقول : ان الله سبحانه وتعالى أخذ على الخلفاء والأمراء والحكام ثلاثة أشياء ، فمن أوفى بعهد الله منهم نجا ، ومن قصر هلك : أخذ عليهم أن لا يتبعوا الهوى ، وأن لا يخشوا الناس ويخشونه ، وأن لا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً .

وكان اذا ذكر الملوك قال : لاتنظروا إلى ترف عيشهم ولين رياشهم ، ولكن انظروا إلى سيرة ظعنهم وسوء مُنقلبهمْ .

واتصل به عن بعضهم : أنه كان يأكل الخشن من الطعام ، ويلبس الدّني من الثياب . فقال : ياويحه على ما جبى له من الخراج وملك من أطراف البلاد ؟ فقالوا انه يفعل ذلك بخلاً . فقال : الحمد لله الذي حرَمَهُ من دُنياه مالأجْلِه ترك دينه .

وكان يقول : اذا اراد الله بقومٍ خيراً جعل أمراءهم حلماؤهم ، وفَيْأهُمْ عند سمحائهم ، واذا أراد الله بقوم شراً جعل أمراءهم سفهاؤهم ، وفيأهم عند بخلائهم .

وكان يقول : لقد حدثت عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم إن من أشراط الساعة أن يكون فى الأرض أمراء فجرَة ووزراء كذَبَة وأمناء خوَنة وعلماء فسقَة وعرفاء ظلمة وانى لاتخوفُ أن يكون وقتنا هذا .

وقيل احضر النضر بن عمرو — وكان والياً على البصرة — الحسن يوماً فقال : ياأبا سعيد إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيهامن رياشها و بهجتها و زينتها لعباده . وقال عز وجل : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين » . وقال عز من قائل : « قل من حَرم زينةَ الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدّنيا » . فقال الحسن : أيها الرجل اتق الله فى نفسك و إياك والامانىّ التى ترجَحت فيها فتهلك ، ان أحداً لم يُعْطَ خيراً من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته . و إنما هى داران ، من عمل فى هذه أدرك تلك ، ونال فى هذه ما قُدِّر له منها . ومن أهمل نفسه خسرها جميعاً ، إن الله سبحانه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لنفسه . و بعثه برسالته ورحمته . وجعله رسولا إلى كافة خلقه . وأنزل عليه كتاباً مهيمناً . وحدّ له فى الدنيا حدوداً . وجعل له فيها اجلا . ثم قال عز وجل : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » . وأمرنا أن نأخذ بأمره . ونهتدى بهديه . وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته . فما بلغنا اليه فبفضله ورحمته . وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر . فذلك باب مخرجنا . فأما الأمانى فلا خير فيها . ولا فى أحد من اهلها .

فقال النصر : والله يا أبا سعيد! إنا على ما فينا لنحب ربنا فقال الحسن : لقد قال ذلك قومٌ على عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزل الله تعالى عليه : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . فجعل سبحانه اتباعه صلى الله عليه وسلم علماً للمحبة . واكذب من خالف ذلك . فاتق الله يا أيها الرجل فى نفسك . وايم الله لقد رأيت أقواماً كانوا قبلك فى مكانك يعلون المنابر . وتهتز لهم المراكب . ويجرون الذيول بطراً ورياء الناس . يبنون المدرَ ويؤثرون الأثر . ويتنافسون فى الثياب. اخرجوا من سلطانهم، وسلبوا ماجمعوا من دنياهم . وقدموا على رَبِّهم . ونزلوا على أعمالهم . فالويل لهم يوم التغابُنِ ؛ ويا وَيحهم يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ؛ لِكلِّ امرئ يومئذ شانٌ يغنيه .

وقيل دخل عليه يوماً آخر . فقال : أيها الأمير أيدك الله . إن أخاك من نصحك فى دينك ، وبصَّركَ عيوبك ، وهداك إلى مراشدك ، وإن عدُوك من غرك ومنّاك . أيها الأمير اتق الله ! فانك أصبحت مخالفاً للقوم فى الهدى والسيرة . والعلانية والسريرة . وأنت مع ذلك تتمنى الأمانى . وترجح فى طلب العذر . والناس أصلحك الله طالبان ؛ فطالب دنيا ، وطالب أخرة . وأيم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح . وتعب الآخر واختُرِمَ . فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفانى . وترك الباقى . فتكون من النادمين . واعلم أن حكيما قال :

أين الملوك التى عن حظها غفلت؟ حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

نعوذ بالله من الجور بعد الكور . ومن الضلالة بعد الهدى

لقد حدِّثت أيها الأمير عن بعض الصالحين أنه كان يقول : كفى بالمرءِ خيانة أن يكون للخونة اميناً . وعلى أعمالهم معيناً .

وقيل لآخر مقتر: ألا تذهب إلى السلاطين فتصيب من خيرهم. فقال : نعوذ بالله من كل ما يكره تعالى ، لأن أموت مؤمناً مهزولا ؛ أحبُّ إلى من أن أموت منافقاً سميناً

ولـما قدم عمر بن هبيرة والياً على العراق احضر الحسن والشعبى . فقال لهما اصلحكما الله : ان أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب الىّ كتاباً . اعرف فى تنفيذها الهلكة . فاخاف إن أطعته غضب الله . وإن عصيته لم آمن سطوته . فما تريان لى . فقال : الحسن للشعبى يا أبا عمرو اجب الأمير، فرقّق له فى القول . وانحط فى هوى ابن هبيرة . وكان ابن هبيرة لا يستشفى دون أن يسمع قول الحسن . فقال : قل ما عندك يا أبا سعيد . فقال الحسن : أو ليس قد قال الشعبى . فقال ابن هبيرة فما تقول أنت ؟ فقال : أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لايعصى الله ما أمره . فيخرجك من سعة قصرك . الى ضيق قبرك . فلا يغنى عنك ابن عبد الملك شيئاً . و إنى لارجو أن الله عز وجل سيعصمك من يزيد . وأن يزيد لا يمنعك من الله . فاتق الله أيها الأمير . فانك لاتأمن أن ينظر الله إليك وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد . نظرة يمقتك بها . فيغلق عنك باب الرحمة

واعلم أنى أخوفك ماخوفك الله سبحانه . حين يقول: « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » واذا كنت مع الله عز وجل فى طاعته . كفاك بوائق يزيد . وان كنت مع يزيد على معصية الله . وكلك الله الى يزيد حين لا يغنى عنك شيئاً . فبكى عمر بن هبيرة بكاء شديداً . ثم انصرفا فاجزل جائزة الحسن . وقصّر فى جائزة الشعبى . ثم خرج الشعبى إلى المسجد ، فلما اجتمع أهل مجلسه . قال أيها الناس: من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل ! إن الامير ابن هبيرة أرسل الىّ والى الحسن فوالذى نفسى بيده ما علم الحسن شيأ جهلته . ولكنى راعيت ابن هبيرة وأردت رضاه . وقصرت فى قولى له . فاقصانى الله وأبعدنى ، وكان الحسن مع الله عز وجل فقر به وادناه . وسخر له ابن هبيرة فآثره وحباه

وقيل: خرج الحسن يوماً من عند ابن هبيرة . فاذا هو بالقراءِ على بابه . فقال: ما اجلسكم هاهنا ؟ لا كثر الله جمعكم . تريدون الدخول على هؤلاء الجربى .

فوالله ما مخالطتهم مخالطة الابرار، ولا مجالستهم مجالسة الاخيار. تفرقوا فرّق الله بين ارواحكم وأجسادكم، ولا كثر فى المسلمين مثلكم، حذوتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم رؤسكم، وكحلتم اعينكم، فكنتم شر عصابة. حلقوا الشوارب للطمع. فضحتم القراء لاجمع الله شملكم. أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم! ولكنكم رغبتم فيما فى أيديهم، فزهدوا فى علمكم. فأبعد الله من أبعد — وما أحسبه غيركم — ثم انصرف مغضبا.

وروى أن الحجاج بنى داراً بواسط وأحضر الحسن ليراها، فلما دخلها. قال: الحمد لله إن الملوك ليرون لأنفسهم عزاً و إنا لنرى فيهم كل يوم عبراً. يعمد أحدهم الى قصرفيشيده، والى فرش فينجده، والى ملابس ومراكب فيحسنها، ثم يحف به ذباب طمع، وفراش نار، وأصحاب سوء. فيقول: انظروا ما صنعت فقدرأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين؟ أمّا أهل السموات فقد مقتوك، وأما أهل الأرض فقد لعنوك، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء، وغررت فى دار الغرور لتذل فى دار الحبور، ثم خرج وهو يقول: ان الله سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشام. فقال: أيشتمنى عبيد اهل البصرة وأنتم حضور، فلا تنكرون! ثم أمر باحضار الحسن، فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج. فقال: إيها يا أبا سعيد أما كان لأمارتى عليك حق، حين قلت ما قلت. فقال: يرحمك الله أيها الأمير: إنّ من خوفك حتى تبلغ أمنك أرفق بك، وأحبُّ فيك ممن آمنك حتى تبلغ الخوف، وما أردت الذى سبق الى وهمك، والأمران بيدك العفو والعقوبة فافعل الأولى بك وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل. فاستحيا الحجاج منه واعتذر اليه وأكرمه وحباه.

وقيل: جاء رجل من الشرط كان على هناة إلى الحسن. فقال: أصلحك الله عزمت على ترك النبيذ، فقال له الحسن: وإلا بدأت ما هو أولى بك أخر التوبة

من النبيذ حتى يكون هو شر عملك وحينئذ فتب منه

وقيل: سمع الحسن رجلا من أصحاب الحجاج يذكر عليا رضى الله عنه بسوء. فقال: لقد استوجبها فقال الرجل: النار يا أبا سعيد؟ فقال: نعم! وبئس المصير قال فهل من توبة عافاك الله؟ فقال الحسن: ثكلتك أمك وهل لك ان لم تتب بعذاب الله من طاقة ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

قيل: لما ولى عدى بن ارطاة البصرة عزم على أن يولى الحسن القضاء فهرب الحسن واستتر وكتب اليه: أما بعد أيها الأمير فان الكاره للأمر غير جدير بقضاء الواجب فيه، و إن العامل للعمل بغير نية حقيق أن لا يعان عليه، ولك فى المختارين للأمر الذى دعوتنى اليه كفاية وقناعة، وقصدك إياهم وتعويلك عليهم أولى بك وأصون لعملك، فانه لاخير فى الاستعانة بمن لايرى أن العمل الذى يدعى اليه وأجب عليه وفرض لازم له، فعافنى أيها الأمير عافاك الله وأحسن إلىّ بترك التعرض لى فان الله لايضيع أجر من أحسن عملا. فعافاه وأكرمه وقال والله ما كنت لأبتليه بما يكرهه.

روي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب الى الحسن رحمة الله عليه: اكتب الىّ يا أبا سعيد بموعظة فأوجز فكتب اليه:

أما بعد: يا أمير المؤمنين فكأن الذى كان كأن لم يكن، وكأن الذى هو كائن قد نزل. واعلم: ياأمير المؤمنين ان الصبر وان أذاقك تعجيل مرارته فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته وحسن عاقبته، وان الهوى وإن أذاقك طعم حلاوته، فلبئس ما أعقبك من مرارته وسوء عاقبته، واعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز مَنْ حرص على السلامة فى دار الاقامة، وفاز بالرحمة فأدخل الجنة.

وقيل: كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن اكتب الىّ يا أبا سعيد بذم الدنيا فكتب اليه:

أما بعد يا أمير المؤمنين فانّ الدنيا دار ظغن وانتقال، وليست بدار إقامة على

حال ، وانما أنزل اليها آدم عقوبة فاحذرها ، فان الراغب فيها تارك ، والغنى فيها فقير ، والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها ، انها اذا اختبرها اللبيب الحاذق وجدها تذل من أعزها ، وتفرق من جمعها ، فهى كالسم يأكله من لا يعرفه ، ويرغب فيه من يجهله ، وفيه والله حتفه ، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جراحه يحتمي قليلا ، مخافة ما يكن طويلا ، الصبر على لأوائها ، أيسر من احتمال بلائها ، واللبيب مَنْ حذرها ، ولم يغتر بزينتها ، فانها غَدَّارة ختالة خداعة ، قد تعرضت بآمالها ، وتزينت لخطابها ، فهى كالعروس العيون اليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة . وهى والذى بعث محمداً بالحق لازواجها قاتلة ، فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها ، واحذر عثرتها ، فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاءِ . والبقاء مؤد الى الهلكة والفناء .

واعلم يا أمير المؤمنين أن أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وتاركها موفق ، والمتمسك بها هالك غرق . والفطن اللبيب من خاف ما خوَّفه الله . وحذر ما حذره ، وقدر من دار الفناء الى دار البقاء فعند الموت يأتيه اليقين . الدنيا والله يا أمير المؤمنين دار عقوبة ، لها يجمع من لا عقل له ، وبها يغتر من لا علم عنده ، والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوى جراحه ، يصبر على مرارة الدواء . لما يرجو لمن العافية ، ويخاف من سوء عاقبة الدار . والدنيا وايم الله! يا أمير المؤمنين حلم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، والعباد فى اضغاث أحلام ، وانى قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم :

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة　　　وإلا فانى لا أخالك ناجيا

ولما وصل كتابه إلى عمر بن عبد العزيز بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده . وقال : يرحم الله الحسن فانه لا يزال يوقظنا من الرقدة ، وينبهنا من الغفلة ، ولله هو من مشفق ما أنصحه ، وواعظ ما أصدقه وأفصحه .

وكتب اليه عمر بن عبد العزيز : وصلت مواعظك النافعة فاشتفيت بها ، ولقد

وصفت الدنيا بصفتها، والعاقل من كان فيها على وجل ، فكأن كل من كتب عليه الموت من أهلها قد مات والسلام عليه ورحمة الله وبركاته . فلما وصل كتابه إلى الحسن قال لله أمير المؤمنين من قائل حقا، وقابل وعظا . لقد أعظم الله جل ثناؤه بولايته المنة ، ورحم بسلطانه الامة ، وجعله بركة ورحمة .

وكتب اليه :

أما بعد فان الهول الاعظم، والامر المطلوب أمامك، ولا بد من مشاهدتك ذلك، اما بنجاة أو بعطب .

وكتب اليه رحمة الله عليه : احذر يا أمير المؤمنين أن تكون فيما ملكك الله من أمر عباده كعبد ائتمنه مولاه واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وسرّح العيال فأفقر أهله وأتلف ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله جل ثناؤه أمر أئمته أن يزجروا عباده عن الخبائث وينهوهم عن الفواحش فكيف بهم اذا أتوها وأوجب عليهم القصاص لهم وجعله حياة لعباده فكيف بهم اذا قتلهم المقتص لهم

اذكر يا أمير المؤمنين قلة اشياعك عند ربك وأنصارك عليه يوم حشرك فتزود ليوم الفزع الاكبر

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه ، وبه يطول مقامك وعنه يفارقك أحباؤك . يلقونك فيه وحيدا ويسلمونك اليه فريدا فتزود يا أمير المؤمنين ليوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، واذكر اذا بعثر مافى القبور وحصل مافى الصدور ، يوم تكون الاسرار ظاهره وقد نشر الكتاب الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فاعمل الآن وأنت فى مهل . قبل حلول الاجل وانقطاع العمل

واحذر يا أمير المؤمنين أن تحكم فى عباد الله بحكم الجاهلين أو تسلك بهم بسبيل الظالمين . ولاتسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لايرقبون فى مؤمن إلا ولاذمة . فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ولى ظالما

أو أعانه فقد ولى الاسلام وراء ظهره» .فاتق الله ان تبؤ باوزارك واوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك واثقالا مع اثقالك ، فلا يغرنك قوم يتنعمون ببؤسك ، و يأكلون الطيبات بذهاب طيباتك، ولاتنظر ياأمير المؤمنين الى قدرك اليوم، وانظر الى قدرك غدا، وأنت مأسور فى حبائل الموت، وموقوف بين يدى الرب، فى مجمع من الملائكة والرسل وقد عنت الوجوه للحى القيوم . انى يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ فى عظتى ما بلغ أولو النهى قبلى فلم آلك شفقة ، ولا ادخرت عنك نصيحة ، ولاقصرت فى موعظتك ، فانزل اليك كتابى منزلته ، وتفرغ لسماعه فراغ من يرجو الانتفاع به ، وليهن عندك مرارة الدواء، لما ترجوه من عاقبة الشفاء، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وقيل : سمع الحسن رجلا يدعو على الحجاج . فقال : لاتفعل رحمك الله انكم من أنفسكم أوتيتم ، انا نخاف ان عزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير . فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم. قال:«عمالكم كاعمالكم وكماتكونون يولى عليكم» . ولقد بلغنى : أن رجلا كتب إلى بعض الصالحين يشكو اليه جَوْر العمال. فكتب اليه : يا أخى وصلنى كتابك يذكر ما أنتم فيه من جور العمال وأنه ليس ينبغى لمن عمل بالمعصيه أن ينكر العقوبة ، وما أظن الذى انتم فيه إلا من شؤم الذنوب والسلام .

ولقد بلغنى أن أبا بكر رضى الله عنه : خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله جل ثناؤه يقول أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدى ، فمن أطاعنى منكم جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصانى جعلتهم علية نقمة ، فلا تشغلوا قلوبكم بسب الملوك ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم .

وقال الاشعث : كنت عند الحسن حتى دخل عليه رجل مصفر طيلسانه من أهل البحرين. فقال : يا أبا سعيد انى أريد أن أسألك عن الولاة . فقال الحسن:

سل عما بدا لك فقال ما تقول فى أيمتنا هؤلاء قال فسكت مليا ثم قال : وما عسى أن أقول فيهم ، وهم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والفىء والثغور والحدود . والله لايستقيم الدين إلا بهم وان جاروا وان ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون ، والله ان طاعتهم لغبطة ، وان فرقتهم لكفر. قال فقال الرجل : يا أبا سعيد والله انى لذو مال كثير وما يسرنى أن يكون لى أمثاله وانى لم أسمع منك الذى سمعت فجزاك الله عن الدين وأهله خيرا .

وسئل الحسن عن الحجاج . فقال : يتلو كتاب الله و يعظ وعظ الابرار ويطعم الطعام ويؤثر الصدق ويبطش بطش الجبارين . قالوا : فما ترى فى القيام عليه . فقال: اتقوا الله وتوبوا اليه يكفكم جوره ، واعلموا ان عند الله حجاجين كثيرا .

وكان يقول : هؤلاء ـ يعنى ـ الملوك ، وان رقصت بهم الهماليج ، ووطىء الناس أعقابهم . فان ذل المعصية فى قلوبهم إلا أن الحق ألزمنا طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم . فمن أراد به خيراً لزم ذلك وعمل به ولم يخالفه.

الفصل الثامن

فيما روى عنه من المواعظ والحكم فى سائر الأشياء

كان رحمه الله يقول . الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله . وكان ذلك شأنه اذا أراد أن يأمر بشىء بدأ بنفسه ففعله، واذا أراد أن ينهى عن شىء انتهى عنه.

وكان يقول: اتصل بى أن بعض الصالحين جعل على نفسه أن لا يراه الله ضاحكا حتى يعلم أى الدارين داره الجنة أم النار ؟ فيقول الحسن: لقد عزم رحمه الله فوفى بعزمه، وما رئي ضاحكا حتى لقى الله .

وقيل : مر الحسن برجل يضحك. فقال: يا ابن أخى هل جزت الصراط ؟ فقال الرجل لا قال: فهل علمت ألى الجنة تصير أم الى النار؟ فقال لا قال : ففيم الضحك

عافاك الله ؟ والأمر هول . قيل : فما رئى الرجل ضاحكا حتى مات .

ورأى الحسن قوما يتضاحكون و يتغامزون و يتدافعون بعد انصرافهم يوم الفطر من صلاة الفجر. فقال: يا قوم ان الله سبحانه جعل شهر رمضان مضماراً لعباده يستبقون فيه بالطاعات الى رحمته ، و يجتهدون فى الاعمال ليفوزوا بدخول جنته . فسبق أقواما ففازوا ، وقصر آخرون فخابوا ، والعجب كل العجب للضاحك فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ، و يخسر المبطلون. أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن بأحسانه، ومسيء باساءته، عن تجديد ثوب وترجيل شعر . فان كنتم وفقكم الله قد تقرر عندكم أن سعيكم قبل ،وعملكم الصالح قد رفع، فما هذا فعل الشاكرين . وان كنتم لم تتيقنوا ذلك فما هذا فعل الخائفين ؟

وكان يقول: ابن آدم أقلل الضحك فان كثيره يميت القلب ، و يزيل البهجة و يسقط المروة ، و يزرى بذى الحال .

وكان يقول : روى أن الله سبحانه وتعالى أوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام ياعيسى : أكحل عينيك بالبكاء اذا رأيت الغافلين يضحكون .

وعاد الحسن عليلا فوافقه وهو فى الموت ، ورأى تقلبه وشدة ما نزل به . فلما رجع الى داره قدموا له طعاما ، فقال: عليكم بطعامكم وشرابكم فانى رأيت مصرعا لا بد لى منه ، ولا أزال أعمل حتى ألقاه . وتأخر عن الطعام أياما حتى لطف به فأكل.

وكان يقول: عباد الله ان الله سبحانه لم يجعل لأعمالكم أجلا دون الموت ؛ فعليكم بالمداومة فانه جلَّ ثناؤه يقول (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) .

وكان يقول : رأيت سبعين بدرياً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب .

وكان يقول: رحم الله امرءاً نظر ففكَّر ، وفكر فاعتبر ، واعتبر فأبصر ، وأبصر فصبر . لقد أبصر أقوام ثم لم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ، فلم يدركوا ما طلبوا ولا رجعوا الى ما فارقوا ، فخسروا الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين

وكان يقول: أيها الناس انى أعظكم ولست بخيركم ولا أصلحكم ، وانى لكثير الاسراف على نفسى ، غير محكم لها ، ولا حاملها على الواجب فى طاعة ربها ، ولو كان المؤمن لايعظ أخاه إلا بعد أحكام أمر نفسه لعدم الواعظون ، وقلّ المذكرون ولما وجد من يدعو الى الله جل ثناؤه ، ويرغب فى طاعته ، وينهى عن معصيته ، ولكن فى اجتماع أهل البصائر ، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضا حياة لقلوب المتقين، واذكار من الغفلة ، وأمن من النسيان ، فالزموا عافاكم الله مجالس الذكر قرب كلمة مسموعة ، ومحتقر نافع ، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

وقال: أيها الناس أصبحتم والله فى أجل منقوص ، وعمل محصى محروس ، الموت فوق رؤوسكم ، والنار بين أيديكم .

وقال: أيها الناس انما لأحدكم نفس واحدة ، ان نجت من عذاب الله لم يضرها من هلك، وان هلكت لم ينفعها من نجا ، فاحذروا عافاكم الله التسويف فانه أهلك من كان قبلكم ، وانكم لاتدرون متى تسيرون ؟ ولا الى أى شىء تصيرون ؟ فرحم الله عبداً عمل ليوم معاده ، قبل نفاد زاده .

وقال : أيها الناس ان الله عز وجل بسط لكم صحيفة ، ووكل بكل رجل منكم ملكين كريمين أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار ، وهو يملى عليهما ، فان شاء قلّل ، وان شاء كثر ، انما يملى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ولقد روى أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد من دون الله وليا ولا نصيرا . قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : نزلت والله قاصمة الظهور فاذا قال ذلك أبو بكر وقد شهد له بالجنة فكيف يجب أن يكون قول من سواه ؟ فاعتبروا معشر المؤمنين وكونوا على حذر لعلكم تأمنون من عذاب يوم عظيم .

وكان يقول : ابن آدم إياك والاغترار ، فانك لم يأتك من الله أمان ، وأن الهول الأعظم والأمر الاكبر أمامك، وأنك لابد أن تتوسد فى قبرك ما قدمت.

إن خيراً فخيراً، و إن شراً فشراً، فاغتنم المبادرة فى المهل، و إياك والتسويف بالعمل، فأنك مسئول، فأعد للمسئلة جوابا.

وكان يقول: ابن آدم إن المؤمن لايصبح إلا خائفا و إن كان محسناً، ولا يصلح إلا أن يكون كذلك. ولا يمسى إلا خائفاً و إن كان محسناً، ولا يصلح أن يكون كذلك. لأنه بين مخافتين ذنب مضى لايدرى ما الله صانع فيه ؟ وأجل قد بقى لايدرى ما الله مبتليه فيه ؟ فرحم الله عبداً فكَّر واعتبر، واستبصر فأبصر، ونهى النفس عن الهوى. ابن آدم ! إن الله جلت قدرته أمر بالطاعة وأعان عليها، ولم يجعل عذراً فى تركها. ونهى عن المعصية وأغنى عنها، ولم يوسع لأحد فى ركوبها. ولقد روى أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة لآدم يا آدم: أنت اليوم عدل بيني و بين ذريتك، فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى تعلم أنى لا أعذب إلا ظالما.

وكان يقول: مافى جهنم واد ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه بما حكم فى القضاء، فكيف أيها الناس إن اجتمع ذلك كله على عبد واحد. اتقوا الله أيها الناس واحذروا مقته. فلمقت الله أكبر لو كانوا يعلمون.

وقيل خرج الحسن يوما على أصحابه وهم مجتمعون. فقال: والله لوأن رجلا منكم أدرك من أدركت من القرن الأول، ورأى من رأيت من السلف الصالح لاصبح مهموما، وأمسى مغموما، وعلم أنَّ المجدَّ منكم كاللاعب، والمجتهد كالتارك، ولو كنت راضيا عن نفسى لوعظتكم، ولكن الله يعلم أني غير راضٍ عنها ولذلك ابغضتها وابغضتكم.

أيها الناس: ان لله عباداً هم كمن رأى أهل الجنة فى الجنة منعمين. وأهل النار معذبين، فهم يعملون لما رأوا من النعيم و ينتهون عما خافون من العذاب الاليم

أيها الناس: إن لله عباداً قلوبهم محزونة، وشرورهم مامونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا الايام القلائل. لما رجوه فى الدهور الاطاول. أما الليل فقائمون على أقدامهم يتضرعون الى ربهم، ويسعون فى فكاك رقابهم، تجرى من

الخشية دموعهم ، وتخفق من الخوف قلوبهم . وأما النهار فحلماء علماء أتقياء أخفياء ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تخالهم من الخشية مرضى وما بهم من مرض ، ولكنهم خصصوا بذكر النار وأهوالها لهم . والله كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرّم عليكم ، وكانوا أبصر بقلوبهم لدينهم منكم لدنياكم بأبصاركم ، ولهم كانوا لحسناتهم أن ترد عليهم أخوف منكم أن تعذبوا على سيئاتكم ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وكان يقول: ابن آدم لا يغرنك من حولك من السباع العادية ، ابنك وحليلتك وخادمك وكلالتك : أما إبنك فمثل الأسد ينازعك ما بين يديك ؛ وأما حليلتك فمثل الكلبة فى الهرير والبصبصة ؛ وأما خادمك فمثل الثعلب فى الحيلة والسرقة ؛ وأما كلالتك فوالله لدرهم يصل إليهم بعد موتك أحب إليهم من لو كنت أعتقت رقبة ، فاياك أن توقر ظهرك بصلاحهم؟ فانما لك منهم أيامك القلائل . وإذا وضعوك فى قبرك انصرفوا عنك فصفروا بعدك الثياب ، وضربوا الدفوف ، وضحكوا القهقهة ، وأنت تحاسب بما فى أيديهم . فقدم لنفسك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد .

أيها الناس : أن أحدكم يحذره صاحبه فيتقيه ويحذره . فكيف بمن حذره ربه نفسه وخوفه عقوبته . يقول الله سبحانه : « أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

وكان يقول: ألا تعجبوا من رجل يلهو ويغفل ، ويهذى ويلعب ، وهو يمشى بين الجنة والنار لا يدرى إلى أيهما يصير ؟ وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله كره لكم العبث فى الصلاة ، والرفث فى الصيام ، والضحك فى المقابر » .

وكان يقول : سبحان من أذاق قلوب العارفين من حلاوة الانقطاع إليه ، ولذة

لخدمة له ما علّق هممهم بذكره . وشغل قلوبهم عن غيره فلا شىء ألذ عندهم من مناجاته ولا أقرّ إلى أعينهم من خدمته ، ولا أخف على ألسنتهم من ذكره، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

وكان يقول : روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوقد النار ثم يدنى منها يده ويقول : أنظر يا ابن الخطاب كيف صبرك على النار ؟ وهل لك قدرة على سخط الجبار ؟ ثم يستعيذ بالله من النار ومن عمل أهل النار . ثم يقول الحسن اذا كان هذا خوف عمر رضوان الله عليه ، وهو ممن شهد له بالجنة ، فكيف أيها الناس تأمنون

وكان يقول : ابن آدم ! انما أنت ضيف والضيف مرتحل ، ومستعار والعارية مؤداة ومردودة ، فما عسى مقام ضيف و بقاء عارية لله در أقوام نظروا بعين الحقيقة وقدموا إلى دار المستقر .

وكان يقول : ما مر يوم على ابن آدم الا قال له : ابن آدم انى يوم جديد وعلى ما تعمل فِىَّ شهيد ، اذا ذهبت عنك لم أرجع اليك ، فقدم ما شئت تجده بين يديك ، وأخر ما شئت فلن يعود أبدا اليك .

وكان يقول: ابن آدم ! انما يومك ضيفك وهو مرتحل عنك ، ولا بد أن يحمد أو يذم ، وكذلك ليلتك .

وكان يقول : ابن آدم انما يكرمك من يكرمك مادام روحك فى جسدك ، لو قد انتزع منك لنبذوك وراء ظهورهم ، ولو تركت بينهم لفروا منك فرارهم من الاسد .

وكان يقول : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم، فان الله عز وجل لم يدع قولا إلا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه ، فاذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه وان وافق منه القول العمل فنعم، ونعمة عين . وان خالف القول العمل فاياك أن يتشبه عليك شىء من أمره فانها خدع المساكين .

وكان يقول : ابن آدم ! ان لك قولا وعملا فعملك أحق بك من قولك، وأن لك سريرة وعلانية فسريرتك أولى بك من علانيتك ، وأن لك عاجلا وعاقبة وعاقبتك أحق بك من عاجلتك ، ابن آدم إن الله سبحانه وتعالى يقول : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » فانظروا وفقكم الله كيف افتقر الكلم الطيب الى العمل الصالح فاعملوا صالحا وفقكم الله تحمدون عاقبته .

قال حميد : بينما الحسن جالسا فى المسجد حتى تنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا حتى ارتعدت منكباه وخفق قلبه ثم قال: لو ان بالقلوب حياة أو ان بها صلاحا لبكت من ليلة صبحتها القيامة اى يوم عباد الله ماسمع الخلائق بيوم أكثر منه عورة بادية ولا عينا باكية.

وكان يقول : ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار، فان فاضت على خدها لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ، وليس من عمل إلا له وزن وثواب إلا الدمعة من خشية الله فانها تطفى ما شاء الله من حر النار ، ولو أن رجلا بكى من خشية الله فى أمة لرجوت أن يرحم الله ببكائه تلك الأمة بأسرها .

وكان يقول : ان الله عز وجل لا يفترض على العبد ثمنا على العلم الذى يعلمه إلا الثمن الذى يأخذه العلم به، فمن تعلم العلم لحق الله ولا بتغاء ماعند الله فقد ربح، ومن تعلمه لغير الله انقطع ولم يصل به الى الله تعالى .

وكان يقول: مسكين ابن آدم ! ماأضعفه مكتوم العلل، مكتوم الاجل تؤذيه البقة وتقتله الشرقة . يرحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة ، و يقطع من الدنيا منزلة ، وربما طغى وتكبر ، وظلم وتجبر .

وحضر الحسن جنازة ثم قال: أيها الناس اعملوا لمثل هذا اليوم فسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

وكان يقول : أيها الناس اغتنموا الصحة والفراغ ، و بادروا بالاعمال من قبل يوم تشخص فيه القلوب والأبصار .

وكان يقول : ابن آدم ! لاتخافن من ذي مُلْك فإنه عبد لسيدك ، ولا تطمعن فى ذى مال فإنما يأكل رزق مولاك ، ولا تحسدن ذا خير فإنه عامل لربك ، ولا تحقرن فقيراً فانه أخ شقيق لك .

وكان يقول : ابن آدم ! لا تحقرن من الطاعة شيئاً وإن قل فى نفسك وصغر عندك ؛ فان الله سبحانه يقبل مثقال الذرة ، ويجازى على اللحظة ، ولو رأيت قدره عند ربك لسرك . ولا تحقرن من المعصية شيئاً وإن قل فى نفسك وصغر عندك ، فإن ربك شديد العقاب . وحضر يوما مجلسا جمع شيوخا وشبابا . فقال : معشر الشيوخ ما يصنع بالزرع إذا طاب . قالوا : يحصد . ثم التفت فقال : معشر الأحداث . كم من زرع لم يبلغ قد أدركته الآفة فأهلكته ، وأتت عليه الجائحة فأتلفته ، ثم بكى وتلى : (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون) .

وكان يقول : ابن آدم ! إنك تموت وحدك ، وتبعث وحدك ، وتحاسب وحدك . ابن آدم ! لو أن الناس كلهم أطاعوا الله وعصيت أنت لم تنفعك طاعتهم ، ولو عصوا الله وأطعت أنت لم تضرك معصيتهم ، ابن آدم ! ذنبك ذنبك فانما هو لحمك ودمك فان سلمت من ذنبك سلم لك لحمك ودمك ، وإن تكن الأخرى وأستعيذ بالله منها — فانما هى نار لا تطفى وجسم لا يبلى ونفس لا تموت .

وكان يقول : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت الفكرة من عمله ، والذكر من شأنه ، والمحاسبة من همته . ولا يزال بشر ما استعمل التسويف ، واتبع الهوى ، وأكثر الغفلة ، ورجّح فى الأمانى .

وروى أن الحسن رضى الله عنه : اتصل به أن مكحولا توفى فحزن عليه وترحم له ، ثم اتصل به بطلان ذلك . فكتب إليه :

أما بعد — أبا عبد الله . كان الله لنا ولك فى المحيا والممات ، وقضى لنا ولك بخير فى الدنيا والآخرة ، ويسر لنا ولك حسن المآل والمنقلب ، فانه أتانا عنك

ما راعنا ثم أتى بعده ما أكذبه، فلعمر الله لقد سررنا وإن كان السرور بما سررنا به وشيك الانقطاع، ذاهبا عما قليل الى الخبر الأول، فهل أنت عافاك الله ووفقنا وإياك لصالح العمل. كرجل ذاق الموت وعاين ما بعده، وسأله الرجعة فأجيب اليها، وأعطى ماسأل بعد أن عاين ما فاته فتأهب فى فعل جهازه إلى دار قراره لايرى أنّ له من ماله إلا ما قدم أمامه، ومن عمله إلا ما كتب له ثوابه، والسلام.

وكان يقول: روى إن عيسى عليه السلام قال للحواريين: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، فان الطير لاتزرع ولا تحصد. تغدوا ولا رزق لها الله يرزقها. فان قلتم إن بطونكم أكبر من بطونها فهذه الوحوش من الدواب لاتزرع ولا تحصد، لارزق لها الله يرزقها.

وكان يقول: من أستغفر الله بعد صلاة الصبح ثلاث مرات؛ غفرت له ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف.

وكان يقول: روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم — قالوا: كلنا رحيم يارسول الله. قال: ليس رحمة أحدكم نفسه وولده وخاصته، ولكنّ العامة. ورفع بها صوته).

وكان يقول: روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: ألا أنبئكم بخير الناس وشر الناس قالوا. بلى يا أمير المؤمنين! قال: خير الناس من طال عمره وحسن عمله ورجى خيره وامن شره، وشر الناس من طال عمره وساء عمله، ولم يرج خيره ولم يؤمن شره.

وكان يقول: إن الرجل ليسمع الباب من العلم فيعمل به فيكون خيراً له من أن لو كانت له الدنيا فوضعها فى الآخرة.

وكان يقول: حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور، وأقدعوا هذه النفوس فانها طامحة، وانكم إن لا تمنعوها تنزع بكم إلى شر غاية.

وقيل له يا أبا سعيد: ما تقول فى الشفاعة! أحق هى؟ فقال: نعم! قيل له فان الله سبحانه وتعالى يقول: (يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها).

فقال: ان للنار أهلا لا يخرجون منها كما قال الله تعالى . فقيل له: فبم دخل من دخل وبم خرج من خرج؟ فقال: كانوا أصابوا ذنوبا فى الدنيا آخذهم الله بها، ثم أخرجهم بما علم فى قلوبهم من الايمان والتصديق .

وكان يقول : أيها الناس! احذروا قطيعة الأرحام فان الله سبحانه يقول: « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد أى الجهاد أفضل؟ قال جهاد هواك .

وكان يقول : من لم يمت فجاءة، مرض فجاءة فاتقوا الله واحذروا مفاجأة ربكم.

وكان يقول : نعم الله أكثر من ان تؤدى شكرها الا ما أعان الله تعالى عليه ، وذنوب ابن آدم أكثر من ان يسلم منها الا ما عفا الله عنه.

وكان يقول: سمعت بكر بن عبد الله يقول رحم الله امرأ كان قويا فأعمل قوته في طاعة الله . أو كان ضعيفا فكف عن معاصى الله .

وكان يقول: من كذب فجر، ومن فجر كفر، ومن كفر دخل النار واقد روى ان ابن عمر كان يقول : اذا كذب العبد كذبة تنحى الملك عنه مسيرة ميل لنتن ما يجيء به. وكان يقول : ما أعدُّ كذبا اذا جررت الى أخى نفعاً ، أو رددت عنه ضرا، أو أصلحت به بين اثنين .

وكان يقول: ابن آدم تبغض الناس على ظِنَّةٍ. وتنسى اليقين من نفسك.

وكان يقول: ان الأغلال التى غلّل بها أهل النار لم تحصل فى أعناقهم لأنهم أعجزوا الخزنة ، وانما هى اذا طغى بهم اللهب أن ترسبهم فى النار. ثم يبكى حتى يغلب عليه ويقول: اللهم انا نعوذ بك من عذاب النار ومن العمل السيئ الذى يؤدى اليه.

وكان يقول: روى أن ناسكا رأى ناسكا فى النوم. فقال له : كيف وجدت الأمر يا أخى؟ قال: وجدنا ما قدمناو خسرنا ما خلفنا. فقال الحسن: الآن فاقدموا على بصيرة.

وكان يقول: روى ان قوماً تواصفوا الزهد بحضرة الزهرى. فقال: الزاهد من لم يغلب الحرام صبره، والحلال شكره .

ولقد حدثت عن أبى حازم أنه كان يقول: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت، ومن لقى الله منا مجرماً غير تائب أدخله النار و بأس المصير.

وكان يقول: روى أن بعض الصالحين رأى قوماً يتمنون . فقال: وأنا أتمنى معكم فقالوا ما تتمنا يرحمك الله ؟ فقال ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نمت ، وليتنا إذ متنا لم نبعث ، وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا اذ عذبنا لم نخلد.

نظم أبو العلاء المعرى بعض هذا الكلام فقال :

فياليتنا عشنا حياة بلا ردى مدى الدهر أومتنا مماتاً بلا نشر

وكان الحسن يقول: كان قبلكم ناس أرق قلوبا وأشفق بناناً ، وأنتم اليوم أرق منهم ديناً ، وأقسى قلوباً .

وكان يقول: اهتمام العبد بذنبه داع الى تركه ، وندمه عليه مفتاح لتوبته، ولا يزال العبد يهتم بالذنب حتى يكون له أنفع من بعض حسناته.

وكان يقول: من لم يداو نفسه من سقم الآثام أيام حياته، فما أبعده من الشفاء وأقربه من الشقاء فى دار الآخرة بعد مماته.

وكان يقول : الحق مر لا يصبر عليه الا من عرف حسن العاقبة، ومن رجا الثواب خاف العقاب .

وكان يقول: لقد أدركت أقواماً يعرض على أحدهم الحلال فيقول: لا حاجة لى به نخشى أن يُفسدنا .

وكان يقول: لو قمت الليل حتى ينحنى ظهرك ، وصمت النهار حتى يسقم جسمك، لم ينفعك ذلك الا بورع صادق.

وكان يقول: ما يعدل بر الوالدين شىء من التطوع لا حج ولا جهاد .

وكان يقول: لقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول أكثروا من ذكر النار فان حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد.

روى سلمة بن عامر . قال: صلينا الجمعة مع الحسن ، فلما انصرفنا اكتنفنا حوله فبكى بكاء شديداً . فقلنا: ما بالك رحمك الله وقد بشرت بالجنـة فى منامك ؟ فازداد بكاءً وقال : كيف لا أبكى ؟ ولو دخل علينا من باب هذا المسجد أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرف غير قبلتنا هذه، ثم قال: هيهات هيهات أهلك الناس الأمانى ، قول بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وايمان بلا يقـين ، مالى أرى رجالا ولا أرى عقولا ، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، دخل القوم والله ثم خرجوا، وعَرفوا ثم أنـكروا ، وحرَّموا ثم استحلوا . إنما دين أحدكم لعقة على لسانه ، اذ سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال: نعم! كذب ومالك يوم الدين، إن من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وحزماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ،وعلماً فى حلم ، وحلماً بعلم ، وكيْساً فى رِفق ، وتجملًا فى فاقة ، وقصداً فى غنى ، وشفقة فى نفقة ، ورحمة لمجهود ، وعطاء فى الحقوق ، وانصافاً فى استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب،ولا يهمز، ولا يغمز، ولا يلمز ،ولا يلغو، ولا يلهو ، ولا يلعب،ولا يمشى بالنميمة ،ولا يتبع ما ليس له، ولا يجحد الحق الذى عليه، ولا يتجاوز فى العذر، ولا يشمت بالفجيعة ان حلت بغيره، ولا يسر بالمعصية اذا نزلت بسواه

المؤمن : فى الصلاة خاشع ، والى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليعلم ، ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلم ليغنم ، إن أحسن استبشر ، وان أساء استغفر ، وان عتب استعتب ، وان سفه عليه حلم ، وان ظلم صبر ، وان جير عليه عدل ، لا يتعوذ بغير الله ، ولا يستعين الا بالله، وقور فى الملا ، شكور فى الخلا ، قانع بالرزق ، حامد على الرخاء ، صابر على البلاء ، ان جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين ، وان جلس مع الذاكرين كتب من المستغفرين

وقال : هكذا كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الأول فالأول، حتى لحقوا بالله عز وجل ، وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وانما غيَّر بكم لما غيرتم

ثم تلى: « ان الله لا يغـير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال » .

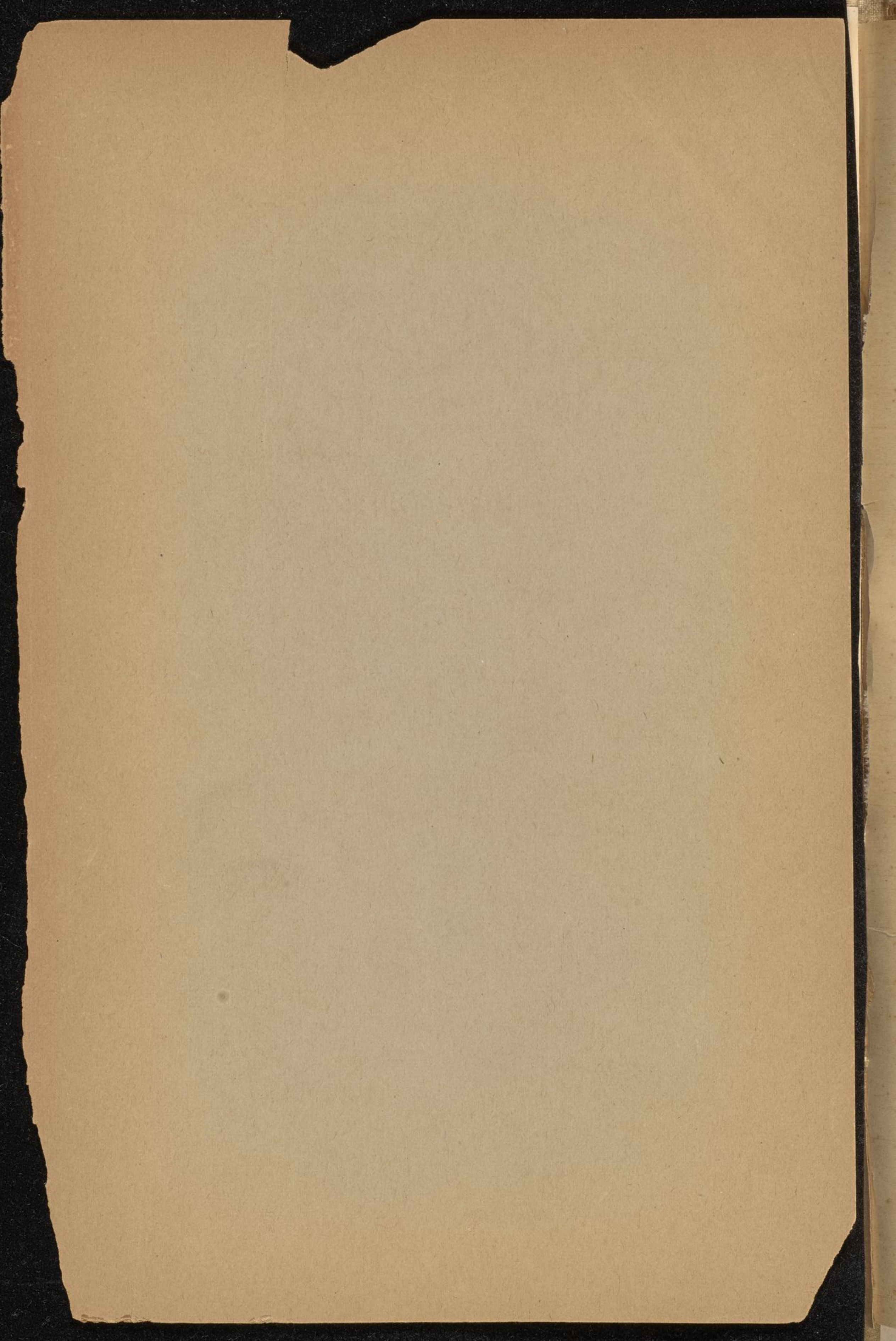
ثم قال الحسن رضى الله عنه : اللهم ربنا ومولانا ، صلى على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، وامنن علينا بما مننت به على عبادك المخلصين ، وأوليائك المتقين ، انك على كل شىء قدير ، وعلى كل خير معين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ؟



استدراك

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٤	٨	الصدقين	الصديقين	٥٤	١١	وأجب	واجب
١٥	١٧	القناعيب	القناعيس	٥٥	٥	ما يكن	ما يكره
١٧	٢٢	كبلنك	كبلتك	٥٥	١٦	لمن العافية	من العافية
٢٤	٦	بواقئه	بوائقه	٥٦	٢	عليه	عليك
٢٦	٢	فيخفى	فيحفى	٥٦	٣	لله امير المؤمنين	لله در أمير المؤمنين
٢٦	١١	ففكر	فكر	٥٧	١٥	بالمعصيه	بالمعصية
٢٨	٢	بالتجلى	بالتحلى	٥٧	٢٠	علية نقمة	عليه نقمة
٣٠	٥	الأيمن	اليمنى	٥٩	٥	اقواما	اقوام
٣٠	٦	النيمى	اليمنى	٥٩	١٩	لقتم	لقلتم
٣٦	١٦	للخلافة	الخلافة	٦٠	٣	بعد أحكام	بعد إحكام
٤٦	١	لايتحاوز	لايتجاوز	٦٠	٧	قرب	فرب
٤٧	١٥	يتمكن هرب	يتمكن من هرب	٦٠	١٨	ولا يجد من	ولا يجد له من
٥٠	٣	الدّنى	الدنى	٦١	٤	ولا يصلح ان	ولايصلح إلا ان
٥٠	٨	سقط هنا	انه كان يقول ان من الخ	٦١	٢١	النار معذبين	النار فى النار معذبين
٥١	١	النصر	النضر	٦١	٢١	عما خافون	عما خافوا
٥١	١٤	أخرة	آخرة	٦٢	١٠	مر لو كنت	من أن لو كنت
٥٢	٥	هبرة	هبيرة	٦٣	٦	سحط	سخط
٥٢	١٩	شيأ	شيئاً	٦٣	١٣	اذا	واذا

فهرس



عبد العزيز أمين الخانجي

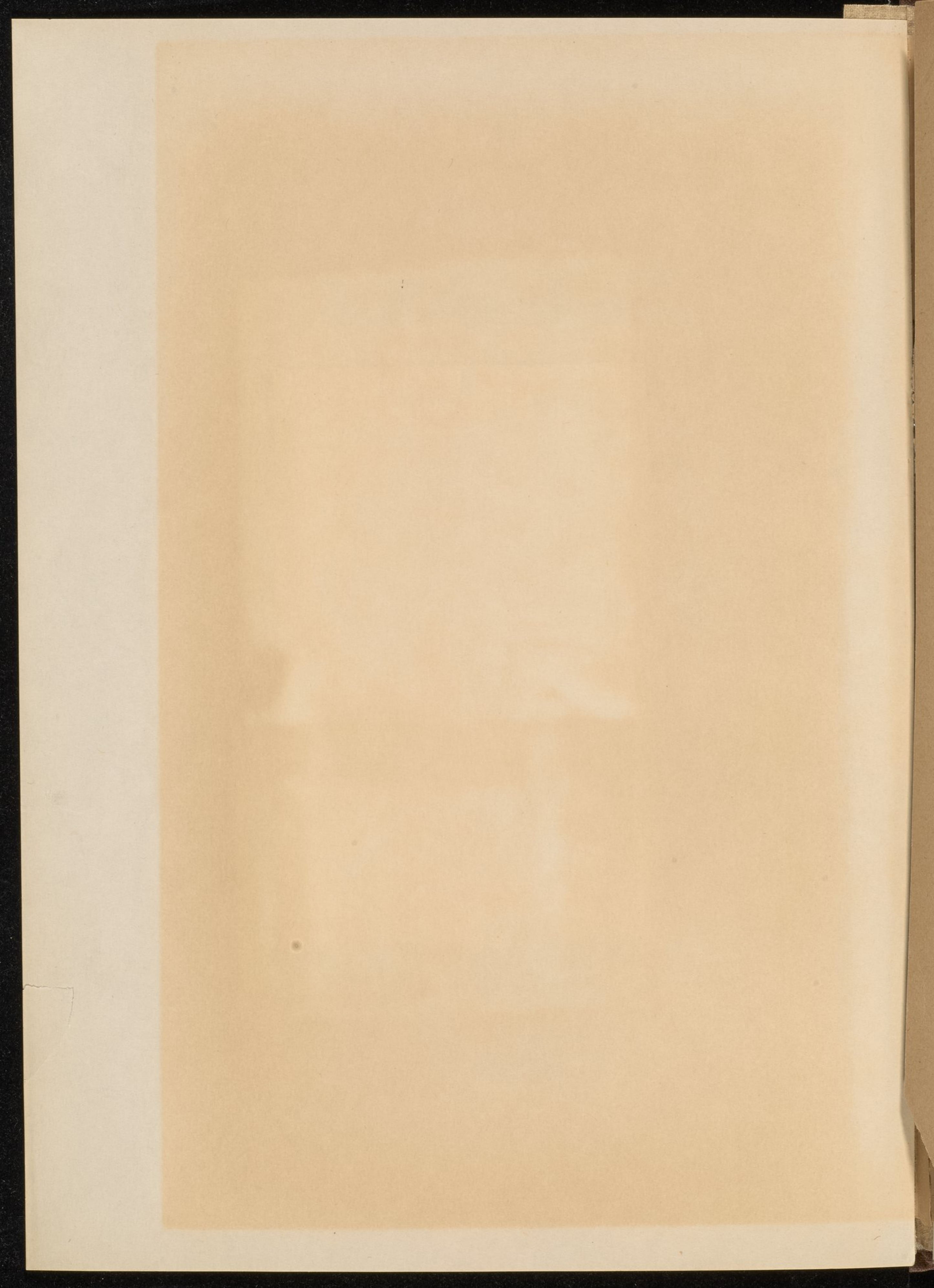
الذكرى

تمثيلية ذات ثلاثة فصول

مكتبة الخانجي
لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجي
بشارع عبد العزيز بمصر

١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر




COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0037944169

